الخطاب السردي عند عبد السلام العجيلي: الرؤية والبناء.

إعداد
أريج جهاد أحمد إرشيد

المشرف
الدكتور محمود جفال الحديد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها
كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب ٢٠٠٢م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ.....

أعضاء لجنة المناقشـــــــــة **التوقيـــــــــــع**

الدكتور محمود جفـــال الحديـــد، رئيســـــاً .....
أستاذ مشارك فقه اللغة.

الدكتور سميـــر بـــدوان قطـــامي، عضواً .....
أستاذ مشارك أدب حديث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدكتور عبد الكريم أحمد الحيـــاري، عضواً .....
أستاذ مساعد بلاغة ونقد.

الأستاذ الدكتور إبراهيم حسين الفيومي، عضواً .....
أستاذ دكتور أدب حديث،(من جامعة اليرموك).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــــــداء

إلـــى مَنْ سعـــى جاهـــداً لإنارة دربي وتحقيـــق طموحـــي

أمـــــــــــي و أبـــــــــي

إلـــى مَـــنْ شجـــعني وحثَّـــي نحـــو التقـــدّم

زوجـــــي

إلى الشعـــــلات الخمـــــــس

إخوتـــــي

إلـــــــــى من أنتظـــره

طفلـــــي

أهـــــدي هذا البـــحث وفـــاءً وذكـــــرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشـــكـــــر

قال تعالى: ﴿أليس اللّه بأعلم بالشاكرين﴾[١] ويقول قدوتنا إمام الشاكرين ــ صلى اللّه عليه وسلم ــ: "من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه"[٢]. فإنني ــ وامتثالاً لهذا الحديث الشريف ــ أتقدم بوافر شكري وعظيم امتناني وتقديري إلى مشرفي الدكتور محمود جفال الحديد ــ حفظه الله ــ الذي خصني بالكثير من وقته وعلمه، فجزاه الله تعالى عني وعن المسلمين خير الجزاء.

وأتقدم كذلك بشكري وتقديري إلى لجنة المناقشة الأساتذة الأفاضل.

وإلى كل من ساهم في إخراج الرسالة وطباعتها على هذا الشكل ممثلاً في الأستاذة ديالا ارشيد والمهندس أشرف ارشيد.

١ــ سورة الأنعام، الآية ٥٣.

٢ــ أخرجه الإمام الترمذي وقال: (هذا حديث حسن) ــ ج٤ ص٣٣٩ ــ ح١٩٥٤ــ١٩٥٥ ــ ٢٨ ــ كتاب البر والصلة ــ ٣٥ ــ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة.	١
التمهيد.	٥
حياته.	٥
ثقافته وفكره.	٦
آثـــــاره.	١٠
الرواية الواقعية الفنية السوريّة.	١٣
مظاهر التطوّر الفني للرواية الواقعية في سورية.	١٣
الباب الأول.	١٧
الفصل الأول: بنية الرؤية الواقعية عند عبد السلام العجيلي.	١٧
مدخل.	١٨
بنية الرؤية الواقعية.	١٨
بنية الرؤية الواقعية الاجتماعية عند الدكتور عبد السلام العجيلي بين المصدر الواقعي والشروط الفنية.	٢١
تصوير الإنسان في البنية الواقعية.	٢٩
المستوى الفني للرؤية الواقعية عند العجيلي.	٣٠
الفصل الثاني: سرديات الحرب.	٣٤
مدخل.	٣٥
نماذج روائية للعجيلي انعكست فيها أحداث الحرب.	٣٧
أولاً: انعكاس حرب ١٩٤٨م.	٣٧
نماذج قصصية تعْرض لحرب عام ١٩٤٨م:	٣٨
١. قصة بنادق في لواء الجليل من مجموعته القصصية قناديل اشبيلية.	٣٨
٢. قصة بريد مُعَاد.	٤٢
ثانياً: صدى هزيمة ١٩٦٧م وأسباب الهزيمة:	٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فارس مدينة القنطرة نموذجاً.	٤٦
ملخص لأسباب هزيمة ١٩٦٧م كما تظهر في قصة" فارس مدينة القنطرة.	٥١
ثالثاً: حرب تشرين ــ نظرة تفاؤلية ــ.	٥٤
رواية ــ أزاهير تشرين المدمّاة ــ نموذجاً.	٥٤
الفصل الثالث: القرية والمدينة في سرديّات العجيلي.	٦٠
مدخل.	٦١
أولاً: الرواية الريفيّة (القروية).	٦٢
انعكاس البيئة الريفية في سرديّات العجيلي:	٦٣
أ. مواجهة الطبيعة.	٦٣
ب.الصراع الاجتماعي.	٦٧
ج. ملامح حياة الأفراد في القرية.	٦٩
عمل أهل القرية	٧٠
اللباس في القرية	٧٢
الوازع الديني عند أهل القرية	٧٣
مفاهيم أهل القرية "عادات وتقاليد".	٧٥
طبيعة الحياة في القرية.	٧٩
ثانياً: الرواية المدنية.	٨٤
صورة المدينة في سرديّات عبد السّلام العجيلي:	٨٥
أولاً: صورة المرأة.	٨٥
ثانياً: وقائع اجتماعيّة في المدينة:	٩٢
أ. الأسرة في المدينة.	٩٢
ب. القرية والفلاح في نظر أهل المدن.	٩٤
الباب الثاني.	٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول: بنية الحدث.	٩٨
مدخل.	٩٩
بنية الحدث عند العجيلي	١٠٢
أ- بنية الحدث في رواية "أزاهير تشرين المدمّاة".	١٠٥
ب-بنية الحدث في "باسمة بين الدموع".	١٠٦
طرق عرض الحدث:	١٠٨
أ. الراوي كلّي العلم.	١٠٨
ب. الراوي محدود العلم.	١١٠
ج. الراوي بصيغة الأنا.	١١٣
د. الراوي الموضوعي.	١١٥
غرابة الحدث عند العجيلي كما يظهر في مجموعته القصصية بنت السّاحرة "نموذجاً".	١١٩
الفصل الثاني: الشخصيات.	١٢١
مدخل.	١٢٢
مفهوم الشخصية لغة.	١٢٢
مفهوم الشخصيات وقيمتها في البنية السّردية.	١٢٢
الشخصيات في البنية السّردية عند العجيلي:	١٢٥
أولاً: أنواع الشخصيات في البنية السّردية:	١٢٥
١. الشخصيات المسطَّحة.	١٢٥
أولاً: الشخصيات المسطَّحة أو الثانوية في القصة.	١٢٦
ثانياً: الشخصيات المسطَّحة أو الثانوية في الرواية.	١٢٧
٢. الشخصيات النامية.	١٢٩
أولاً: الشخصيات الرئيسة النامية في القصة.	١٢٩
ثانياً: الشخصيات الرئيسة النامية في الرواية.	١٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: أبعاد الشخصيات في البنية السردية عند العجيلي:	١٣٤
أ. البعد الخارجي.	١٣٤
ب. البعد الداخلي.	١٣٧
ج. البعد الاجتماعي.	١٣٩
ثالثاً: علاقة الشّخصيّة بالبيئة المكانية التي تعيش فيها.	١٤١
الفصل الثالث: الأسلوب واللغة.	١٤٣
أولاً: الأسلوب.	١٤٤
مدخل.	١٤٤
دراسة أسلوب الخطاب السردي.	١٤٩
أ. أسلوب الرسائل.	١٤٩
ب. أسلوب السرد بأنماطه المتعددة.	١٥٠
أنماط السرد في البنى السردية عند العجيلي:	١٥٢
١- أسلوب السرد المباشر.	١٥٢
٢- أسلوب السّرد اللامباشر.	١٥٤
٣- أسلوب السّرد الوَصفي.	١٥٨
٤- أسلوب السّرد الاستذكاري.	١٦٢
٥- أسلوب السرد الاستشرافي.	١٦٦
ج- الحوار.	١٧٠
المقومات الفنية للحوار القصصي الناجح.	١٧١
أ- الحوار الخارجي.	١٧٢
ب- الحوار الداخلي ــ تيار الوعي ــ.	١٧٧
ثانيا: اللغــة.	١٨٥
تمهيد.	١٨٥
علاقة اللغة بالأسلوب.	١٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- المعجم اللغويّ عند العجيلي.	١٨٩
ب- اللغة السّردية.	١٩٣
ج- اللغة الحواريّة	٢٠١
الفصل الرابع: المـــكان والزمـــان	٢٠٥
أولاً: البنى المكانية.	٢٠٦
مدخل.	٢٠٦
مفهوم المكان لغة.	٢٠٦
مفهوم البنية المكانية وقيمتها في العمل السّردي.	206
البنية المكانية عند العجيلي.	٢١١
ثانياً: البنى الزمانية.	٢٢١
مدخل	٢٢١
مفهوم الزمن لغةً.	٢٢١
أنواع الزمن.	٢٢١
مفهوم البنية الزمانية وقيمتها في العمل السّردي.	٢٢٢
علاقة البنية المكانية بالبنية الزمانية.	٢٢٥
البنية الزمانية عند العجيلي.	٢٢٦
الخـــاتمة.	٢٣٦
المراجع.	٢٣٨
.Abstract	٢٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والســـلام على نبيه الكريم ــ محمد صلى الله عليه وسلم ــ، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له أما بعد:

فهذه دراسة للأعمال السّرديّة ــ الروائية منها والقصصية ــ للأديب الدكتور عبد السلام العجيلي، القاص الروائي الذي وقف على التخوم الفاصلة بين جيلين من كتاب القصة السورية جيل الروّاد، وهو جيل ما بين الحربين العالميتين، جيل تكوين القصة، وجيل مابعد الحرب العالمية الثانية، وقد حاولت من خلال هذه الدراسة الإحاطة بمعظم نتاج "العجيلي" الذي تميّز بقدرته على تصوير الواقع في قالبٍ فنيٍّ متميز باستخدام لغةٍ قوية رصينةٍ، وعبارةٍ فصيحة، وأسلوبٍ سهلٍ خالٍ من الصنعة وحوارٍ لا ينزل إلى مستوى اللغة العامية في كثيرٍ من الأحيان، متخذاً من الزمن إطاراً تنمو فيه الحادثة وتخوض رواياته في أعماق الواقع الاجتماعي ويصور بعضها أحداثاً سياسيةً.

❖ أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في جدّتها حيث إن القاص "عبد السلام العجيلي" لم يُدرس دارسةً منفردة من خلال نتاجه القصصي والروائي وإنما ضمن ظاهرةٍ عامة، ما عدا دراسة بعنـــوان "عبد السلام العجيلي دراســـة نفسية في فن الوصف القصصي والروائي" للكاتب عدنان بن ذريل، وهي دراســـة مقتضبة قصيرة جداً لا تشكل دراسةً شافية لذلك النتاج الإبداعي، كما أنها ركزّت على منهجٍ نقديٍّ واحد في تحليل بعض نصوص قصصه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورواياته.

وتكتسب دراستي هذه أهميتها بتميّزها عن النمط النقدي القديم، حيث ستركز على أعماله الروائية والقصصية وفق أدواتٍ نقدية حديثة كالأسلوبية مثلاً.

❖ **منهجية البحث:**

سيكون تقسيم البحث على بابين مصدرين بتمهيد يتحدث عن حياة "عبد السلام العجيلي" وثقافته، ورؤيته الفكرية؛ هذه السلسلة المترابطة التي لها أكبر الأثر في تكوين نتاجه القصصي والروائي، ثم الحديث عن آثاره من قصة ورواية ضمن البابين الأول والثاني. وبعد هذه الفصول تأتي الخاتمة التي تحوي نتائج البحث وخلاصاته.

وسيتم التعرض لموضوعات البحث على امتداد بابيه وفقاً لمنهج تكاملي، حيث التعرض لبعض المفاهيم النقدية الأسلوبية والواقعية والبنيوية في تحليل النص الأدبي.

وستقوم منهجية البحث على الاستقراء الداخلي للوظائف النصية التي تساهم في توليد الدلالة، ودراسة المستوى المعجمي والمكان والزمان والشخصيات.

وتتعرض الدراسة للأسلوب اللغوي الذي اتبعه العجيلي في رواياته وقصصه بالإضافة إلى المنهج الواقعي الاجتماعي الذي يقيس مدى انطباق مجموعة من القصص والروايات على الواقع واستيحاء الدلالات السياقية من الواقع الاجتماعي المعاش ضمن القالب الفني للرواية والقصة، حيث إن القاص يسعى إلى خلق عالم واقعي موازٍ للعالم الواقعي الذي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعيشه الناس، مهما يكن الخيال الذي يستغرقه في قصته، ولهذا يجب أن يتحكم المنطق في عالم القصة الذي يحيل الشخوص والأحداث والأشياء إلى رموز لما يجري في عالم الواقع، واللغة هي وسيلة هذه الرموز، وأداة تلاحمها بعضها ببعض.

❖ **خطة البحث:**

هذا وسيتم تقسيم البحث على النحو التالي:

ــ المقدمة وقد عرضتُ فيها لأهمية البحث والمنهج المتبع فيه وفصول الدراسة.

ــ التمهيد وفيه حديثٌ عن حياة "العجيلي" وثقافته من خلال العلم والمعرفة والرحلات، هذا بالإضافة لإيراد آثاره في كافة مجالات الكتابة الفنية، وتحدثت فيه عن الرواية السورية بشكل عام.

❖ **الباب الأول:**

وقد قسّم على ثلاثة فصول، كل فصلٍ منها مصدّرٌ بتمهيد، أما الفصل الأوّل فعنونت له ببنية الرؤية الواقعية عند العجيلي بين المصدر الواقعي والشروط الفنية، وعرضت فيه لبعض الأعمال السردية عند "العجيلي" وفق منظور المنهج الواقعي الاجتماعي، وأما الفصل الثاني فعنونت له بـــ "سرديّات الحرب" وعرضتُ من خلاله تحليلاً لبعض السرديّات التي تتحدثُ عن بعض الحروب التي خاضها العرب ضدّ أعدائهم.

أما الفصل الثالث فعنوانه "القرية والمدينة" وتحدثت من خلاله عن مفهوم القرية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمدينة، ونظرة القروي للمدني ونظرة المدني للقروي، وعن صفات البيئة المدنيّة والبيئة القروية كذلك وعادات أهل المدن وأهل القرى كما ظهر في سرديّات العجيلي.

❖ **الباب الثاني:**

وقد تمّ تقسيمه على أربعة فصول كلُّ فصلٍ منها مصدّرٌ بتمهيدٍ، أما الفصل الأول فجاء بعنوان "بنية الحدث" وتحدثت فيه عن تسلسل الحدث السّردي، وطريقة عرضه داخل البنية السرديّة.

أما الفصل الثاني فعنونت له بـــ "الشخصيات"، وتحدثت فيه عن الشخصيات بأنواعها، المسطّحة أو الثانوية، والمتحوّلة أو الرئيسة عارضةً لبعض النماذج الشخصية في سرديّات "العجيلي".

أما الفصل الثالث فعرضت فيه " الأسلوب واللغة " وتحدثت فيه عن الأساليب السّرديّة عند "العجيلي"، كأسلوب الرسائل، وأسلوب السّرد بأنماطه المتعددة، وأسلوب الحوار بأنماطه المختلفة، وتحدثت أيضاً عن اللغة وعلاقتها بالأسلوب، وركّزت فيه بالحديث عن المعجم اللغوي، واللغة السّرديّة، واللغة الحوارية في سردياته.

أما الفصل الرابع فعنوت له بـــ "الزمان والمكان"، وقد تناولت فيه البيئة الزمانية والمكانية في سرديّات "العجيلي".

ـــ الخاتمة: وفيها تكثيفٌ لنتائج البحث وخلاصته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

❖ **حياته:**

ولد العجيلي في بلدة الرّقة السورية عام ١٩١٨م[١]. وتلقى تعليمه الابتدائي في هذه البلدة. وأسرته فرع من" عشيرة عربية هي عشيرة البوبدران وأصلها في بادية الموصل في العراق، وبعض فروعها مقيم في بادية ديرالزور ملتحق بعشائر البقّارة"[٢].

تخرج العجيلي طبيباً في جامعة دمشق عام ١٩٤٥م، وعمل في السلك السياسي نائباً عن الرقة عام ١٩٤٧م، ثم وزيراً للثقافة، ثم وزيراً للخارجية، ثم وزيراً للإعلام عام ١٩٦٢م. واشترك في حرب عام ١٩٤٨م في فلسطين فكان لذلك الأثر الواضح في كتاباته السردية.

شغف العجيلي بالتنقل والترحال فاستطاع بذلك أن ينهل الكثير من المعارف؛ مما انعكس على أدبه القصصي بشكل واضح.

---

١ ــ انظر: عبد السلام العجيلي، أشياء شخصية، دار الحقائق، ط٢،١٩٦٨م، ص8.

٢ ــ المصدر نفسه، ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تميز العجيلي بالنظرة التفاؤلية للحياة؛ فهو لا يرى الأحداث التي مر بها في حياته أحداثاً سيئة سوى حادث وفاة والده الذي ترك في نفسه أثراً عميقاً[٣].

لقد انعكست حياة العجيلي السياسية، والاجتماعية، والبيئية وحتى رحلاته وتنقلاته على نتاجه السّردي بشكل واضح ونستطيع أن نتلمس ذلك في روايتيه: "المغمورون" و "باسمة بين الدموع" وفي مجموعته القصصية "قناديل اشبيلية". هذا النتاج الذي يمثل مرحلة خاصة وهي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية[٤].

❖ ثقافته وفكره:

لقد كونت عوامل متعددة ثقافة العجيلي، كان أساسها الثقافة العلمية؛ ثقافة الطبيب الشاعر الذي انخرط في مجتمعه وتفاعل معه، واستوعب الثقافات العالمية التي استطاع جنيها بالتنقل والترحال؛ مما كون لديه محصولاً ثقافياً استطاع أن يوظفه توظيفاً رائعاً لتكوين عالمه السّردي، هذا العالم الذي حُبك من أصول معرفيّة جمعت بين الروح البدوية العربية الأصيلة، والروح العلمية المنطقية، إضافة إلى الفكر السياسي.

لقد عبّر أدب العجيلي عن فكرٍ خاصٍّ به استطاع أن يجسد من خلاله الإيمان العميق بالقدر، الإيمان الذي ينم عن نضج فكري وفني يقوده إلى الاعتقاد بكرامة الإنسان

٣ــ انظر: المصدر نفسه، ص٢٢.

٤ــ انظر: محمد كامل الخطيب، السهم والدائرة، دار الفارابي بيروت، ١٩٧٩م، ط١ ، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصلابته في وجه كل ما يتهدده في الدنيا. لقد حلّ العجيلي الازدواجية المتناقضة للوضع الإنساني بالحس الإنساني العميق؛ تلك الازدواجية في النفس البدوية لازمت العجيلي كما يبدو في كل شيء: الطب والأدب، وتأثير التراث العربي وتأثير الثقافة الأجنبية، الشرق والغرب[٥]. لقد كونت كل هذه الأضداد شخصية عبد السلام العجيلي القاصّ الروائي الذي استطاع أن يؤسس ويرتاد فن السرد في سورية فكان بذلك أحد الأعلام البارزين في الوطن العربي.

"وليس من شك في أن الحياة المتنوعة التي عاشها العجيلي شكلت عنده مادّة ثرّة، ووفرت لديه ذخائر من التجارب وحصائل من الذكريات والأفكار، وفتحت له من آفاق الخيال ما أعانه على كتابة الكثير من القصص التي تنبثق عن فكرة واحدة شاملة هي موقف العجيلي من الحياة، وتجمعها ملامح مميزة مشتركة هي ما يمكن أن نطلق عليه مذهبه الشكلي في كتابة القصة القصيرة "[٦]، وفي نهاية المطاف نستطيع أن نلخص المكونات الفكرية والفنية التي كان لها دور كبير في تحديد ملامح نتاجه، وتأطيره في

5- انظر: رياض عصمت، الصوت والصدى، دراسة في القصة السورية الحديثة، دار الطليعة – بيروت – لبنان، ط١، ١٩٧٩م.

6- انظر: نعيم اليافي، التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٢م، ص٢٨٠-٢٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتجاهات يتقيد بها[٧]:

١- **أثر البيئة:** وهي البيئة الجغرافية المكانية، والاجتماعية اللتان تعتبران من العوامل المهمة في تكوين شخصية الأديب؛ لأنها تترك تأثيراً بعيد المدى في حياته الفكرية والفنية. وفي أخلاقه وسلوكه الشخصي. ونستطيع أن نتلمس هذا الأثر في تصوير الحياة البدوية والقروية في روايته "المغمورون" التي يعرض فيها لخلافات المجتمع بأفكاره المتنوعة بين البدوي والحضري، إذ جسّد من خلالها طبيعة أهل البدو بعاداتهم وتقاليدهم وفكرهم الخاص بهم المتجسد في شخص عثمان بطل القصّة[٨].

وقد دفعت البيئة الاجتماعية العجيلي إلى كتابة القصة ، هذه البيئة التي كانت تتسم باجتماع الناس والأقارب في مضافة الأسرة ورواية القصص والحكايات وتناقل أطراف الحديث في مختلف شؤون حياتهم، وكان العجيلي واحداً من الجالسين في المضافة فكان يستمع للروايات والحكايات؛ مما شكل في ذهنه مادة أولية خام صنعها بمواده وأدواته الحديثة ليبدع فناً سردياً متميزاً.

7- انظر: محمود ابراهيم الأطرش ،اتجاهات القصة في سورية بعد الحرب العالمية الثانية،دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٢م، ص ٩٦-١٠٨.

8- انظر: عبد السلام العجيلي، المغمورون، دار الشرق، بيروت، ط١٩٧٩،١م، ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- **فعل المطالعة والرحلة:** إن شغف العجيلي بفن القصة، والرغبة في مزاولة كتابتها، قد نماه عامل الميل إلى القراءة، وحب اكتساب المعرفة، واطلع من خلال هذه القراءات على الآداب الأجنبية وبخاصّة فن القصة مما أتاح له فرصة كبيرة للتعرف على أصول هذا الفن وخصائصه الأساسية، فأفاد منه كثيراً في صقل الجانب التقني من نتاجه.

أما رحلته في بلاد الشرق والغرب، فقد يسرت له الإطلاع على نماذج عديدة من حياة الشعوب المختلفة، وأنماط معيشتها، وأكسبته خبرة كبيرة تركت أثرها العميق في نفسه وحياته وفنّه.

٣- **أثر الطب والأدب:** تشكل مهنة الطب أحد المصادر التي استقى منها العجيلي مادة قصصه، هذه المادة الطبية التي نصادفها ونحن نقرأ له، هي من تجاربه الشخصية في ممارسة أغنت تجربته الإنسانية، واطلع من خلالها على خفايا النفوس،وأسرار القلوب المعذّبة، والمجروحة في أحيان كثيراً، حتى إنه جعل شخصيات بعض قصصه أطباء مما يعكس طبيعة شخصيته الطبية كما يعكس تفكيره.

وها هو ذا العجيلي يقارن بين مهنة الطب وبين مهنة الأدب على لسان إحدى الشخصيات وهو الدكتور "إلياس" في روايته "باسمة بين الدموع": "الطبيب، مثل كل عامل في الميادين العلمية يجد أن علاقاته مع الناس محدودة ومعرفة الجموع به قليلة. يكفي أن يلقي سياسي خطاباً أو يكتب أديب مقالاً حتى تتناقل الألسنة اسمه ويعرفه القاصي والداني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الطبيب فإن آداب الطب تقتضيه أن يجعل علاقاته بالناس سرّاً مهنيّاً، وأن يتجنب الدعاية لنفسه، وأن يتواضع فينسب الفضل في نجاحه لمخترعي العلاجات، ولأساتذة الطب ولمقاومة الجسم الإنساني للأمراض!"[١].

٤- **عامل الذاتية والعصر**: لاقت نزعات العجيلي وفكره الخاص واقعاً اجتماعياً معيناً، له ظروفه السياسية والاقتصادية والفكرية، وله قيمه وأخلاقه وعاداته، وكم ارتطمت هذه الظروف بظروف العصر، وتفاعلت معها فتولد من هذا ردود فعل تتلقفها الموهبة الإبداعية، وتصوغ منها عملاً فنيّاً متأثراً كل التأثر بالصراع النفسي والعملي، لينتج أدباً أصيلاً معبراً عن ذاته وعن البيئة، وبذلك ينبض بالحياة، لأنه ولد من التفاعل مع معطيات الحياة، في مظهره الخاص والعامّ. فكان عمله الفني أو الأدبي حصيلة تجاربه مع ظروف العصر من خلال النظرة والرؤية الخاصة تجاه المجتمع والكون.

❖ **آثـــــــــــــاره :**

كان للعجيلي في كل مجال من مجالات الكتابة الفنية يدٌ بيضاء استطاع أن يعكس للقارئ من خلالها تجارب اجتماعية، ونفسية تعبر عن مكنون النفس البشرية وطبيعة المجتمعات المختلفة، وفيما يلي عرض لنتاجه السردي، القصصي والروائي في مختلف صنوف الكتابات والأنواع الأدبية:

---

١ – عبد السلام العجيلي : باسمة بين الدموع ، دار الشرق ، بيروت ، ص٢٠٨-٢٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ. المجموعات القصصية:

١- بنت الساحرة ١٩٤٨م.

٢- ساعة الملازم ١٩٥١م.

٣- قناديل اشبيلية ١٩٥٦م.

٤- الحب والنفس ١٩٥٩م.

٥- الخائن ١٩٦٠م.

٧- الخيل والنساء ١٩٦٥م

٨- فارس مدينة القنطرة ١٩٧١م.

٩- حكاية مجانين ١٩٧٢م.

١٠- الحب الحزين ١٩٧٩م.

١١- فصول أبي البهاء ١٩٨٦م.

١٢- موت الحبيبة ١٩٨٧م.

١٣- مجهولة على الطريق ١٩٩٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الروايات:

١- باسمة بين الدموع ١٩٥٩م.

٢- رصيف العذراء السوداء ١٩٦٠م

٢- قلوب على الأسلاك ١٩٧٤م.

٣- ألوان الحب الثلاثة (بالإشتراك مع أنور قصباتي) ١٩٧٥م.

٤- أزاهير تشرين المدماة ١٩٧٧م.

٥- المغمورون ١٩٧٩م.

٦- أرض السِّياد ١٩٩٨م.

وبما أن سرديات العجيلي تنتمي في مجملها إلى الاتجاه الواقعي في كتابة الأدب فلا بد من الإشارة إلى الرواية الواقعية في سوريـــة لإلقاء بصيص من الضوء عليها؛ لأنها الظاهرة التي ينتمي إليها العجيلي في ركب السرديين السوريين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ **الرواية الواقعية الفنية السوريّة:**

"إن بناء الرواية السورية نهض على مجموعة من التفصيلات المستمدّة من الواقع الموضوعي، كالأحياء الشعبية في المدن، وعلاقة الفلاح بأرضه في الريف، وتوزع القوى البشرية في المدينة والريف، وسمات الطبيعة، والصلات الأسرية وتقسيم العمل، وطرائق اللهو والحكم، وأساليب الحرب والسياسة"[٩].

❖ **مظاهر التطوّر الفني للرواية الواقعية في سورية**[١٠]:

أ. انتقال الرواية من التفكك إلى التماسك الداخلي، والاقتراب من الشكل العضويّ.

ب. التطور في لغة الرواية بحيث أصبحت لغة وظيفية، والتقليل من دور السرد للعناية بالحوار حتى يعبر تعبيراً صادقاً عن أفكار الشخصيّة، وتحديد علاقاتها بغيرها من الشخصيات.

ولأن الرواية الواقعية انعكاس واضح للحياة بمختلف صورها وأشكالها وخاصة الحياة الاجتماعية، برزت الرواية الواقعية الاجتماعية السورية التي مسَّت حياة المجتمع وشكلت مجتمعاً روائياً خاصّاً يعكس مجموعة من التجارب. وبرز في المجتمع السوري شكل

١ــ سمر روحي الفيصل، التطور الفني للإتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، دار النفائس، لبنـــــان، ط١، ١٩٩٦م، ص١٢٨.

٢ــ المرجع نفسه، ص١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سردي واقعي اجتماعي عبّر عن مجرى الحياة بكل تفاصيلها **وتميّز هذا الشكل السّردي بالسمات الإيجابية التالية**[١١]:-

أ. الرغبة في الاقتراب من الواقع الاجتماعي:

فقد اقترب السرديون السوريّون من الواقع الاجتماعي السوري، فعبّروا في أعمالهم الروائية عن قيم يرغبون في ترسيخها كالمساواة، والعدالة. وفي المقابل نفّروا من قيم سيئة كالاستغلال والبطالة، والتفاوت الاجتماعي والسيطرة. وقد لوحظ أنّ الرواية الاجتماعية أخذت بيد الفقير الكادح وتعاطفت معه؛ لتعري واقعه ولتتعاطف مع آلامه وآماله وأحلامه.

ب. تعدد صور الواقع الاجتماعي:

ويظهر ذلك في التنويع الذي أجراه السرديون في عكس صور الواقع الاجتماعي مصوّرين مجتمع المدينة، والقرية، والساحل، والمجتمع الرعوي، والزراعي، ومجتمع الأغنياء والفقراء، ورسموا تعابير واقعية لشخوص صنعت أحداث المجتمع كالصيادين والعمال، والفلاحين، والنساء، إلى جانب صور المستثمرين، والمستغلين، والأغنياء والمتسلطين.

١ــ انظر: سمر روحي الفيصل، الإتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٦م، ص١٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج. تعرية الواقع الاجتماعي ونقده:

وقف السرديون موقف النقاد الاجتماعيين في تصوير مآسي الكادحين وحيواتهم في ظل الاستغلال والسيطرة؛ هذا التصوير الذي يبحث عن حلٍّ يجابه به السّردي مجتمعه وقارئيه بشكل خاص.

د. انتقال البطولة إلى القاع الاجتماعي:

استطاعت الرواية السورية الواقعية الاجتماعية تحقيق نقلة نوعية في البطولة الروائية، إذ نقلتها من المثقفين والبرجوازيين إلى الكادحين الفقراء الذين يعيشون في أسفل السلم الاجتماعي. وعلى الرغم من أن الرواية الاجتماعية تعج بشخصيات الأغنياء والمستغلين، إلا أن البطولة كانت دائماً من نصيب ابن الشعب الفقير المعدم الكادح الذي يواجه قوى اجتماعية تملك السلطة والمال والمراكز الاجتماعية، وهذه النقلة النوعية تجعل الرواية الواقعية الاجتماعية أكثر مصداقية وتعبيراً عن الواقع.

هـ. تجسيد الطابع المأساوي للحياة الاجتماعية:

وذلك بقدرة الروائيين على تصوير التناقض في المجتمع السوري بين من يملكون وبين من لا يملكون، والتدقيق في معاناة أفراد الشعب من الفقراء، وملاحقة تأثير التفاوت الاجتماعي في نفوسهم، وتجسيد المعاناة اليومية والصراع النفسي داخل المجتع الذي يضفي جواً حزيناً بائساً على العمل السّردي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و. بروز النزعة الإنسانية:

إن التعاطف مع قضايا الكادحين في الرواية السورية يمثل_ بحد ذاته _ موقفاً إنسانياً لاشية فيه؛ فقد وقفت الرواية الاجتماعية في وجه الظلم والاستغلال والسيطرة، وناصرت العدالة والحرية والحب، وسواء أكانت صورة الفلاح والعامل مستمدة من الواقع الاجتماعي السوري أم لم تكن، فإن مفاهيم العدالة والحرية والاستغلال والسيطرة والظلم وافرة فيها، وهي تنم عن التعاطف الإنساني، وتشير إلى أن الكادحين بدأوا يتذمرون من واقعهم التعس، ويطالبون بتغييره، ويناضلون في سبيل حياة فضلى، وواقع مغاير. ولهذا السبب اتسمت النزعة الإنسانية في الرواية الاجتماعية الواقعية السورية برغبة جامحة في نقد الواقع وتعريته؛ ذلك أنّ هذه النزعة لم تكف عن المطالبة بتحسين الحياة والاهتمام بها.

وهكذا، وبعد هذه اللمحة عن واقع الرواية الواقعية الاجتماعية في سورية، نستطيع أن نتكئ على ما تقدم حتى نرسم صورة للبنية الواقعية الاجتماعية عند عبد السلام العجيلي، أحد كتاب القصة والرواية السورية، الذي خط يراعه فن السرد فأبدع وتميّز.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البـــاب الأول

الفصـــل الأول

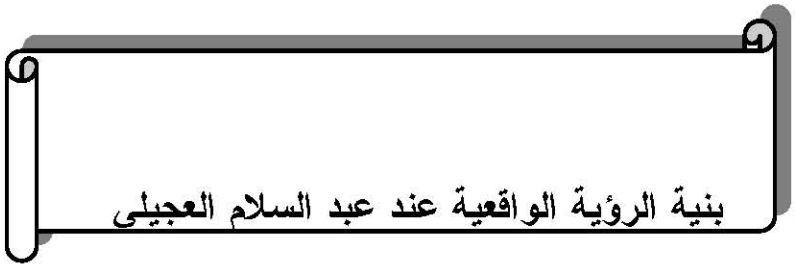

- ❖ بنية الرؤية الواقعية.
- ❖ بنية الرؤية الواقعية الاجتماعية عند عبد السلام العجيلي بين المصدر الواقعي والشروط الفنية.
- ❖ تصوير الإنسان في البنية الواقعية.
- ❖ المستوى الفني للرؤية الواقعية عند العجيلي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ **بنية الرؤية الواقعية:**

▫ **مدخل:**

تعد الواقعية الاجتماعية من أكثر المناهج ارتباطاً بالعمل السردي بصفة خاصة "ويرجع السبب في ذلك إلى أن الفن القصصي يعد أقرب الأشكال الأدبية إلى الواقع"[١] كما أن هذا الفن يحمل في خباياه تجسيداً للحياة الاجتماعية المعيشة في زمان من الأزمنة على بقعة مكانية محددة.

وإذا ما بحثنا عن القيمة الجمالية للاتجاه الواقعي الاجتماعي نجد أنه يتمثل طريقة تنظيم الواقع الإجتماعي "على نحو خلاق بحيث تبرز العلاقات المتناقضة أو المتعارضة في شتى جوانب الحياة"[٢]، ولكن ما هي العلاقة الكامنة بين الواقعية الاجتماعية وبين فن السّرد على التحديد؟

١ــ د. نبيلة ابراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب ــ القاهرة، ص٣٥.

٢ــ المرجع نفسه، ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن علاقة القصة بالحياة علاقة تنطلق من كون الأولى "تعبيراً عن أنماط من السلوك الإنساني لها ما يقابلها"[١].

إن الرؤية الواقعية للعمل السردي تجعله أكثر اهتماماً "بالتفاصيل المنظورة الدقيقة

٣ــ المرجع نفسه، ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتصوير الموضوعي للناس والأحداث"[١] بما يجعله يبني واقعاً اجتماعيا، ويكشف عن موضوعٍ اجتماعي له قيمته فيبدو العمل السّردي "ليس مجرد أحداث تحرك الشخوص في اتجاه أفقي من نقطة لتوصلهم إلى نقطة محددة تبدو في النهاية وكأنها حتمية، كما أنه ليس مجرد مجموعة من الأحداث المتشابكة التي تفرض سلوكاً معيناً"[٢] .

ويعدُّ المجال الاجتماعي الفضاء الجوّي الذي تتحرك فيه بنية الأحداث الورادة في الفن السّردي المكتسب من العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين المرسل والمرسل إليه بواسطة النظام اللغوي المشترك في منظومة الاتصال التي تعكس واقعاً اجتماعياً يرتكز على أساسيات لها علاقة بالعادات والتقاليد الاجتماعية، أو الأوضاع الاقتصادية، أو الطبقية، وغيرها من الصور ذات العلاقة الوثيقة ببنية المجتمع، وتكوينه. فيأتي العمل السردي عندئذٍ ثمرة لحركة المجتمع ونتيجة لسلوك الأنماط الإنسانية في هذه الحركة الاجتماعية "وتركيباً خاصاً غير مألوف لما هو مألوف، وجمعاً لشتات من الأحداث، والأشخاص، والمصادفات، والاحتمالات، يجعل العالم أكثر تنظيماً مما هو عليه، وأكثر منطقية مما يمكن أن يكون "[٣].

١ــ رياض عصمت، الصوت والصدى، دراسة في القصة السورية الحديثة، دار الطليعة ــ بيروت ــ ط١، ١٩٧٩م، ص٣٨.

٢ــ د. نبيلة ابراهيم، نقد الرواية، ص٣٨.

٣ــ منذر عياشي، المعرفة الروائية، مجلة الحرس الوطني، ع ١٦٩، ١٩٩٦م، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما عن نظرة السرديين للواقع؛ فهي نظرة مختلفة من كاتب لآخر؛ لأنَّ لكل منهم أفكاره الخاصة عن الواقع مما يحدو به للحديث عن العالم كيفما يراه، ولكن لا أحد يراه مثل الآخر[١]. ويصور الكاتب من خلال موضوع قصته أو روايته "ما يضطرب به عصره من صراع اجتماعي ينم عن مشـــاعر إنسانية وقوميّة، وعليه أن يصدق في هذا الصراع، ويكمل تصوير أبعاده. وله أن يرتب أجزاءه بحيث تشف موضوعياً عن آرائه هو، وبحيث يقنعنا بها فنياً في تصويره الأدبي"[٢].

ولعل الحرص على الصلة التلقائية بين الخاص والعام "هي التي تمضي بالإبداع الفني إلى ما هو أوسع من التكوين النفسي والجسدي الخاص للفنان أوالأديب المبدع أو الشاعر، وتصل به إلى المجالات الاجتماعية الموضوعية والمجالات الإنسانية، وتحول دون اقتصاره على دائرة التكوين النفسي أو الجسدي الخاصّة المحيطة بالفنان الإنسان. من هنا يجد القارؤون للأدب أو المتذوقون له طعم الخيال والإلهام والخلق والجدة والنكهة الخاصّة التي تدخل في طعم الوعي العام والواقع الاجتماعي والإنساني"[٣].

١ــ انظر: آلان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى ابراهيم مصطفى، تقديم د. لويس عوض، دار المعارف بمصر، ص١٣٩-١٤٠.

٢ــ محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص١٢٩.

٣ــ د.عبد الرحمن ياغي، أبعاد العملية الأدبية، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٧٩م، ص٣٢-٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ بنية الرؤية الواقعية الاجتماعية عند عبد السلام العجيلي بين المصدر الواقعي والشروط الفنية:

مثلت قصص عبد السلام العجيلي على اختلافاتها زبدة الحياة، أو حسها، أو خلاصتها[١]. ومثّلت كذلك حياة الإنسانية بمرّها وحلوها، ورسمت واقعاً اجتماعياً استطاع عبد السلام العجيلي من خلاله أن يكسب ثقة قارئيه بما يعرضه من وقائع وأحداث مستمدة من الواقع بقالب فنيٍّ رسمه بكل عناية؛ العناية بالكلمة والحدث والشخوص وغيرها من مقومات العمل السّردي حتى يخرج ببنية سردية تتمثل الواقع وتحاكيه، في ثوب فنيٍّ يشوّق القارئ ويجعله يتوقع الأحداث كما لو أنه الكاتب نفسه. ولعل هذا صادر عن كون القطعة السردية تتكئ على الواقع.

كانت واقعية عبد السلام العجيلي في قطعه السردية تتسم بروح النقد والإصلاح أحياناً، وتكتفي أحياناً أخرى بمجرد العرض والتصوير[٢] لهذا الواقـــع في محاولة لإعادة تصوير الواقع عن طريق ايجاد راوٍ يقص الحكاية ويثبت أحداثها. ومثال ذلك في قصته "الشِّباك" التي يجعل فيها راوياً يقص علينا أحداثاً حصلت مع "عارف"؛ "**اندس عارف في فراشه ولكنه لم ينم. ولم يكن من عادته أن ينام سريعاً إذا ما اندس في فراشه، بل لابد له في**

١ــ انظر: نعيم اليافي، التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٢م، ص٢٨١.

٢ــ انظر: رياض عصمت، الإتجاهات الأدبية لفن القصة القصيرة السورية، المعرفة ع١٠٧، ١٩٧١، ص١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل ليلة من جولة واسعة تجولها أفكاره قبل أن تتعب، مثلما تعب جسمه من جولات النهار، فتسلمه إلى النوم ..... ولما أغمض عينيه ليرى من أين تبدأ أفكاره جولتها أحس بأن رقماً مؤلفاً من أعداد أربعة يثب أمام عينيه المغمضتين:١٩٤٥!"[١].

وفي القصة نفسها يجعل من "أبي سليمان" روائياً يقص جانباً من قصته مع "عارف": **"إن الخلاف الذي كان بيني وبين عارف، رحمه الله، لم يكن أهلاً لأن أحمل له ضغينة في قلبي أوأن يملأ صدره غيظاً مني، ولكن قاتل الله الدُّنيا يابني، علم الله أني لم أكن واثقاً أيٌّ منّا كان الحق إلى جانبه في ذلك الخلاف كانت القضية بيننا قضية حَدٍّ بين أرْضَين"**[٢].

وكثيراً ما كانت التجربة الواقعية التي يطرحها تجربته بالذات[٣] وإن أنكر هو ذلك، فالتوافق بينه وبين شخصيات قصصه، جعل مجموعة من قرّائه يوقنون بأن شخصية سامي في قصة "العرّاف" أو "زقاق مسدود" من مجموعته القصصية "فارس مدينة القنطرة"، هي شخصية عبد السلام العجيلي بعينه حين وجّهوا له رسالة جاء فيها: "فإن سامي هو أنت أنت راوي القصة أو بطل القصة، مهما حاولت أن تنكر ذلك أو تخدعنا نحن القراء عنه"[٤]؛ فقد ورد في القصة أن "سامي" سافر من بلدته إلى أوروبا؛ وسامي هذا

---

١ ــ عبد السلام العجيلي: قناديل اشبيلية، دار الشرق، بيروت، ص٥٤-٥٥.

٢ ــ المصدر نفسه، ص٥٨.

٣ــ انظر: سعد صائب، القصة السورية في الميزان، مجلة الآداب، ع٩ ، ١٩٥٦م، ص٦٧.

4ــ عبد السلام العجيلي، فارس مدينة القنطرة، دار الشرق، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يعيش في القرية كما أن القاص نفسه، عبد السلام العجيلي، كان يعيش في القرية: "**وشيئاً فشيئاً تعلقت بهذا الرجل العذب الحديث، الغريب اللسان للكنة كانت في كلامه ليست مما اعتادت أذني سماعه في بلدتنا، العاجز لأنه كان أعمى**"[١]، هذا ما جاء على لسان سامي عندما تحدث عن علاقته بالشيخ رضوان في مسجد الحي في القرية.

ونرى العجيلي يقول في وصفه لشخصية "سامي": "**سافر إلى أوروبا بالباخرة ..... وقد انتشر في الباخرة أنه قارئ للحظ**"[٢] فلعل هذه السفرة إلى أوروبا هي أحدى سفرات العجيلي نفسه. ثم إن اختيار العجيلي لأبطال من الأطباء في قصصه ورواياته ووصفه لبعض الأدواء، يعطي إشارة واضحة بأن لواقعه الشخصي انعكاساً ملموساً على أعماله الاجتماعية الواقعية. وهذا الذي يضفي على أعماله صدقاً واقعياً يجعل النص السّردي لوحة واقعية مرسومة بخطوط من الأدوات الفنية التي تسمو بها ويجعل لها خصوصية تميزها عن غيرها. إنها خصوصية عبد السلام العجيلي.

ومما يدلل على ذلك شخصية الدكتور "إلياس" التي برزت في رواية " باسمة بين الدموع": "**... ولكن الدكتور إلياس قال للسامعين إنه سيحدثهم عن بعض ما مرّ به في ممارسته الطب، إذ لا غنى عن ذكريات الطبيب بالأحداث. وما الذي عند الطبيب غير**

1ــ المصدر نفسه، ص١٥٨.

٢ــ المرجع السابق نفسه، ص١٤٥-١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكرياته يتحدث عنها؟ أيحدثهم عن الأمراض ومناشئها وطرق الوقاية منها ومعالجتها، أم يسدي إليهم النصائح الصحية ؟ .... فالطب على ما كان الدكتور إلياس يرويه لمستمعيه إذا قيس بالسياسة التي سيتكلم في موضوعها الأستاذ سليمان عطا الله فن سلبي، إنه لا ينتج ولا يبدع ولكنه يعمد إلى البناء القائم وهو الجسم الإنساني فيسعى إلى تدعيم ما مال إلى التهاوي منه وترميم ما تهدم أو كاد. وهذه واحدة من النقاط التي يجد فيها الدكتور إلياس نفسه ضعيفاً أمام صديقه الأستاذ عطا الله"[١].

وها هو ذا العجيلي يصرّح بواقعيته بشكل علنيّ " أبطال قصصنا هم نحن جزءاً أو كلاًّ، وأحداث تلك القصص جرت لنا حقّاً، في الواقع أحياناً وفي الخيال أحياناً، إن الواقع والخيال عندي في ما أكتبه من قصص هما واحد في القوة وفي القيمة، أحدهما منطلق الآخر، وأحدهما يتمم الآخر. من الواقع ينبثق الخيال، ومن الخيال أرسم صوراً، وأصف أحداثاً تصبح بقدرة الفن واقعاً"[٢].

لقد شقّ العجيلي طريقاً جديداً من الكتابة الملائمة لفن القصة القصيرة التي تحاكي الحياة، وتبحث عن غرائبها في قالب المرونة والبساطة في التعبير[٣] مستوحياً من التراث القديم موضوعات يعكسها على قضايا واقعية اجتماعية قد يكون لها صدىً سياسيّ، ويظهر

١ــ عبد السلام العجيلي، باسمة بين الدموع، دار الشرق، بيروت، ص٢٠٨-٢٠٩.

٢ــ عبد السلام العجيلي، السيف والتابوت، دمشق، ١٩٧٤م، ص٨٧.

٣ــ انظر: د.حسام الخطيب، اتجاهات وتجمعات وقيم أدبية جديدة، مجلة المعرفة، ع١٧١، أيار ١٩٧٦م، ص٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك في قصته "فارس مدينة القنطرة" من مجموعته القصصية التي تحمل العنوان نفسه، وهي قصة واقعية مستقاة من رحلة العجيلي إلى اشبيلية يجسد فيها العجيلي واقع العرب في الأندلس، وحضارة العرب، وتراثهم الذي رسم بكل دقة وصرامة ليحكي لنا قصة وجود، وقصة دولة، وقصة كيان عربي قُضي عليه في النهاية؛ ليحل محله حكم اسباني يستولي على أسباب الحضارة العربية في الأندلس، وهذه قصة العرب في فلسطين؛ فيعكس العجيلي ذلك التراث المجيد المستوحى من عزة الأمة وكرامتها على واقع القضية الفلسطينية فيعالج واقعاً سياسياً من خلال الموروثات التاريخية الحضارية: "**وقال يا أبابكر عجبت لمقامك في هذا الخطر؛ وقد انفذنا إليك الرسل بأن تجلو عن السهل، ألم يأتك أن القنطرة وقعت في يد العدو؟ فما فهمنا والله لكلام ابن عمرون مغزى، ورأيت حدقتي أبي بكر كأن النار تشتعل فيهما وهو يقلبها بين ابن عمرون وبين الأشبان المعبأين تعبئة حرب على مسيرتنا. وسمعته يصيح: إذن فعلتموها بعتم البلد لتوذر وجئتنا أنت وهؤلاء على سلْم. وعلا اللغط من رجالنا حول ابن عمرون حتى لقد رأيته يدير عنقه إلى عسكره متخوفاً**"[١]. تظهر في هذا المقطع حالة الضعف التي عاشها العرب في الأندلس كما هي حال العرب تجاه القضية الفلسطينية في الوقت الحاضر.

١ــ عبد السلام العجيلي، فارس مدينة القنطرة، ص٣١-٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان لتوظيف التراث أهمية بالغة في الخطابات السّردية حيث "لابد من تصوير حياة الإنسان والمجتمع في حركتهما وتطورهما عبر فترات تاريخية محددة، ولتحقيق هذا الأمر كان يتوجب على الرواية أن تعبر عن خصوصيّة محليّة، أو قوميـّة لئلا تبقى الظاهرة المصوّرة معلقة في الفراغ؛ ولهذا كانت التـاريخية مبدأ من مبادئ التصوير الواقعي، لأن الروائي يحقق من خلالهـا وضع الحـوادث في إطـارها التاريخي"[١].

وقد وظف العجيلي التاريخ التراثي في قصته "قناديل اشبيلية" من مجموعته القصصية التي تحمل العنوان نفسه في هذا المقطع من القصة الذي يعبر فيه آلسيدو عما يدور في نفس العربي عند زيارة الأندلس: "**وفي ذات يوم عبرت المضيق إلى اسبانيا. لأقل عدتُ إلى إسبانيا. لم تكن هذه هي العودة التي ملأت أحلامي، ولكني كنت مشوقاً إلى أن أرى بعيني الأرض التي كانت في خيالي قارة مفقودة. قد تكون يا ابن العم من بغداد أو من دمشق أو من صنعاء اليمن، من أي بلد كنت فلا بد أن تكون عبرت بك لحظة هنا شعرت فيها أن لك في ثرى هذه البلاد حصّة وأن رباطاً وثيقاً يصلك بها. أما أنا فقد كنت أشعر أني أعثر على أجزاء مفقودة من نفسي في قاوس، في بلنسية، في جبل البيازين بغرناطة وفي" الروذا الأندالوسيّا" في سهل الجزيرة.**"[٢].

---

١ ــ انظر: سمر روحي الفيصل، التطور الفني للإتجاه الواقعي في الروايـة العربية السورية، دار النفـائس، لبنـان، ١٩٩٦م، ص١٥٢-١٥٣.

٢ــ عبد السلام العجيلي: قناديل اشبيلية، ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا ما ألقينا الضوء على روايته "باسمة بين الدموع" وجدنا من خلالها أنّ عبدالسلام العجيلي يركز على "جانب من الواقع الاجتماعي في سوريا خلال الخمسينيات، وجاء تعلّق "باسمة" بـــ "سليمان" روحيّاً في أول الأمر، إذ رأت فيه الزعيم الذي يمكن أن يخلص البلاد في المستقبل من الفساد السياسي، وظنت أنه مخلص للمبادئ التي يعلن عنها في خطبه غير أنها تصدم عندما تكتشف أنه يسعى لنيلها جسديّاً ... تلك هي الزعامة الحزبية في سوريا آنذاك. شعارات ترفع لتخدع الجماهير وتوهمها أنها جادة في العمل من أجل الصالح العام، بينما هي غارقة في ملذاتها بعيداً عن المصلحة العامة.

وعمقت بعض الأحداث هذه الرؤية الواقعية للأوضاع السياسية المتردية، إذ يدور الصراع بين "سليمان عطاالله" ومنافسه في المجلس النيابي الوزير"سعيد بك" "[١].

والمقطع التالي من قصة "باسمة بين الدموع" يدل على ذلك: "**خصمي الشخصي سعيد بك كأن هناك عاراً عليَّ أن يكون سعيد بك خصمي الشخصي وعاراً عليَّ أن أعارض حكماً يشترك به خصمي الشخصي، سعيد بك! ومع ذلك فإن معارضتي لا تمت إلى خصمي الشخصي بشئ هل تعرفين سعيد بك؟ ربما تكونين قد سمعت به يا باسمة..... إنه في عمرابي، وقبل عشر سنوات كان اسمه سعيد آغا وكان يلبس قنباز‌اً يلف عليه حزاماً عريضاً وطربوشاً يلف عليه عمامة اغبانية ضيقة وله شاربان، في ذلك الحين،**

١ــ إبراهيم حسين الفيومي، الواقعية في الرواية العربية الحديثة، دار الفكر ــ عمان، ١٩٨٣م، ص١٢٥-١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يقف عليهما الصقر. كان أعز أصدقاء المستشار ..... سعيد آغا يصبح سعيد بك بعد أن خفف من عنترية شاربيه، والخونة الذين كانوا يشون بأبناء أمتهم لضباط الاستخبارات يصبحون أساطين في أحزاب الوطن المستقل، والمبادئ الرفيعة تتطور فتصبح باسم الواقعية بنوداً في عقود شركات فتستخدم للمساومة وتبادل المنافع...."[١].

وكشفت بعض الأحداث في الرواية من خلال العلاقة بين سليمان وباسمة "عن موقف الطبقة البرجوازية من حرية المرأة؛ فهذه الطبقة ترفض أن تصل المرأة السورية درجة من التحرر كالذي وصلت إليه المرأة الأوروبية. وتأتي هذه الرؤية للواقع الاجتماعي من إحدى زواياه متساوية مع الرؤية السياسية، إذ إنّ هذه الطبقة التي يمثلها تُناقض مُثُلها وشعاراتها التي ترفعها مع تصرفاتها"[٢].

وتكمن أهمية هذه الرواية "باسمة بين الدموع": "في أنها تعكس الرؤية الواقعية لأزمة الأحزاب الاشتراكية في سوريا خلال الخمسينات من خلال شعارات ترفع بينما أصحابها غارقون في البحث عن الملذات والمصالح الذاتية. والمرأة التي تشكل الهم الأكبر، وقد كشفت علاقات سليمان المتشابكة مع عدة نساء، هذا التناقض الواضح، فرغم أنه قروي

---

١ ــ عبد السلام العجيلي، باسمة بين الدموع، ص٨٥.

٢ ــ إبراهيم حسين الفيومي، الواقعية في الرواية العربية الحديثة، ص١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تترسب في أعماقه كثير من تقاليد القرية، نراه يتردد على الملاهي الليلية، ويعطي مفتاح شقته للراقصة سعاد"[١].

تصوير الإنسان في البنية الواقعية:

"تسعى الواقعية إلى تصوير الإنسان في العالم " الحياة، المجتمع، الواقع"، وتوضيح العلاقة بينهما، ولاتكاد طريقتها في اختيار الشخصيات تختلف عن طريقتها في اختيار العالم. إذ تحاول هنا الالتزام بصحّة التفصيلات الاجتماعية، أمّا غرضها الرئيس فهو جعل الفرد نموذجاً روائياً متخيَّلاً يمثل الإنسان في العالم الذي صوّرته الرواية، وسعت إلى أن يكون تصويرها له صادقاً صحيحاً"[٢].

وقد ضرب العجيلي مثالاً جيّداً للروائي الذي يعكس صورة الواقعية الإنسانية من خلال شخصيات قصصه التي تقترب من الإنسان المعايش للواقع والمتفاعل معه، فهو يعكس شخصية القروي البدوي الذي يحمل في حناياه صفات النخوة والشهامة والانتماء القبلي كشخصية "عثمان" في روايته "المغمورون": "**فلاح ابن فلاحين يرتدي الثياب القروية، لم يتعد في تعليمه مرحلة الدراسة الابتدائية وفي وظيفته أمـــانة تعاونية لجماعة من فلاحي مزرعة تجريبية هو عثمان**"[٣].

١ــ انظر: المرجع نفسه، ص١٥٩.

٢ــ سمر روحي الفيصل، التطور الفني للإتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، ص١٥٥.

٣ــ عبد السلام العجيلي: المغمورون، دار الشرق، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص١٨-١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقتصر هذا التصوير على الوصف الخارجي فقط كما في المقطع السابق؛ وإنما يظهر ذلك من خلال تماسك الأحداث وترابطها التي تعكس صورة واقعية للشخصية القروية، ومن خلال الحوار الذي يدور في كثير من الأحيان بين ندى وعثمان في الرواية.

❖ **المستوى الفني للرؤية الواقعية عند العجيلي:**

إن المستوى الفني الذي يجب أن يكون عليه العمل السّردي يوازي أهمية المضمون، وتسلسل الأحداث الذي يشكل بنية أي عمل نثري. فكيف بفن السرد؟.

إن المنهج الفني والأدوات الفنية هي التي تضبط المضامين والأشكال الفنية للعمل السردي بما يوفر للقارئ عملاً واقعياً متكئاً على أفضل الأساليب والأدوات الفنية التي تسمو به وتجعله عملاً فنياً متميزاً .

وقد ينخفض المستوى الفني لدى الكثيرين إذا ما قاموا بالاعتماد على عكس الواقع الاجتماعي عكساً كلاسيكياً باستخدام الطرق، والوسائل السردية المباشرة التي تقترب فيها القصة والرواية من الحكاية الاجتماعية الاعتيادية التي تفتقد التميز الفني المطلوب.

فما موقع العجيلي من هذا كله ؟

إن المتتبع والدارس للأعمال السردية التي خطها يراع العجلي على امتداد سنوات طوال من الجهد المضني والمحاولة الجادة لعكس الواقع الاجتماعي، والسياسي، والتاريخي، يجد في أعماله السردية تنوعاً واضحاً؛ وإن كان يعتمد في كثير من الأحيان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الواقعية التسجيلية المباشرة دون أن ترقى تلك الأعمال إلى المستوى الفني الذي يواكب معطيات العصر ومستجداته، ويظهر ذلك واضحا في أعمال مثل: باسمة بين الدموع، والمغمورون، وهارب من الموت من مجموعة ساعة الملازم، والخيل والنساء من المجموعة التي تحمل العنوان ذاته، ومَنْ الذي أقتل؟، وغيرها من الأعمال التي تظهر فيها السّردية المباشرة، والأحداث المتتابعة المتسلسلة التي تعتمد على التقنيات الفنية الرئيسة كالحوار، والمونولوج الداخلي، والحل، والعقدة، والتشويق، واستخدام التقريرية، والشعارات، والتصنيف المسبق للشخصيات، وسيطرة الروائي وما إلى ذلك من أمور.

"ولكن وعي العلاقة بين طبيعة الرواية الواقعية ووظيفتها نابع من أنها أساس الانعكاس الفني، وطريق استيعاب الواقع جمالياً بالنفاذ إليه بطريقة إبداعية تضمن للقارئ إنشاء علاقة جديدة بواقعه، وتجعله قادرا على تقويمه وإن كان الروائي يتحدث عن أشياء يعرفها القارئ ويراها كل يوم، ذلك أن الرواية الواقعية عمل فنيٌّ تخييليّ قبل أي شيء آخر"[١]. ومن هنا تظهر أهمية الوقوف على أدوات فنيّة ترفع من مستوى العمل السّردي وأساليب فنية متطورة تجعل من القطعة السّردية لوحة فنية تثير عنصر الشوق أكثر في نفس القارئ. ويظهر ذلك على سبيل المثال في قصة "الحاج" التي يبدؤها العجيلي بالحوار لا بالسرد المباشر، وهذه تقنية فنية تعطي واقعية القصة بعداً فنياً يجعلها تقترب من القارئ

١ــ انظر: سمـــر روحي الفيصل، التتطور الفني للإتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، ص٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحاسيسه ؛ لأن ما يجري من أحداث يسري على لسان الشخصيات فيكون ذلك أقرب للصدق الفني من غيره، كمأأن استخدام تقنية القصة داخل القصة الظاهر جلياً في "قصة الحاج" حين يعرض العجيلي قصة أكرم في البتراء خلال مجريات رحلته مع سليمان إلى الحج يعكس صورة فنية للاحداث الواقعية:

"**منذ اثنين وثلاثين عاماً، وفي ذلك اليوم الربيعي الصاحية سماؤه والدافئ جوه وبعد ساعات من السير في دروب ترابية كثيرة الحفر وبين سهول مقفرة، غير أن أعشاب الربيع وورووده أكسبتها بهجة تريح النفس، بلغت سيارة الباص بلدة وادي موسى، بلدة صغيرة تتوزع بيوتها على أكمات متباعدة وعلى جانبي طريق متعرجة تنحدر نزولاً حتى تنتهي عند مدخل مدينة البتراء، قبل أن تبلغ سيارة الباص، براكبيها من أفراد الرحلة، ذلك المدخل، طلب الدكتور أكرم من السائق أن يتوقف أمام أحد الدكاكين على جانب الطريق ليسأل عن مقر مدير الناحية ..... وهكذا تابعت سيارة الباص بركابها الذين عادوا إلى أهازيجهم من حيث قطعوها عند استقبالهم لمدير الناحية** "[١].

فقد أعطى المقطع السابق بعدا فنياً يتواصل من خلاله القارئ مع أحداث القصة بتفصيلاتها، وأحوال شخوصها، وما جرى معهم من أحداث جزئية لها أكبر الأثر على البنية الكلية للأحداث .

١ــ عبد السلام العجيلي، مجهولة على الطريق، ١٩٩٧م، ص١١٥-١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثال آخر من أسلوب القصة داخل القصة يظهر في كلام "راكي" في "قصته راكي وأمه" من مجموعة "مجهولة على الطريق": " **لن أحكي لك عن شوارب أبي، بل عن ما جرى تلك الليلة قبل خمسة عشر عاماً مضت كنا نتعشى، أمي وأنا وإخوتي الصغار ... أختي ترضع على صدر أمها وصبيان أصغر مني كنت الأكبر، عمري كان اثنتي عشرة سنة ... انفتح الباب ودخل إلى أرض الدار ثلاثة شباب يركضون، لا سلموا علينا ولا كلمونا ليأكلوا معنا، أخذوا سلم الخشب الذي كان مطروحاً على الأرض، وأسندوه إلى جدار الغرفة التي ننام فيها وصعدوا إلى السطح لم نعد نراهم بعد قليل جاء أبي ...**"[١].

وهكذا يكون عبد السلام العجيلي "قد أظهر قدرة على تطويع بعض المعطيات الاجتماعية والعادات والتقاليد وأدخلها في بنية العناصر الروائية المتنوعة"[٢]، واستطاع أن يتفاعل مع واقع مجتمعه وأن ينغمس فيه، ليتمكن بعد ذلك من صياغة هذا الواقع في قالب فني أدبي، نسج كيانه بثوب كامل من أثواب الفن القصص الروائي ليجسد ويصور مشاكل المجتمع، وتفاعل هذا المجتمع مع التاريخ والأحداث السياسية من حوله، ولكن وفق منظور فني أدبي استخدم فيه أدواته الفنية الروائية ليبدع أعمالاً سردية متميزة.

١ــ المصدر نفسه، ص١٦٣.

٢ــ انظر: محمد عادل حمادة عرب، المعالجة الفنية للتاريخ في الرواية السورية حتى عام ١٩٦١م، رسالة ماجستير، جامعة حلب ــ سوريا، إشراف د.عمر الدقاق، ص٤٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثاني

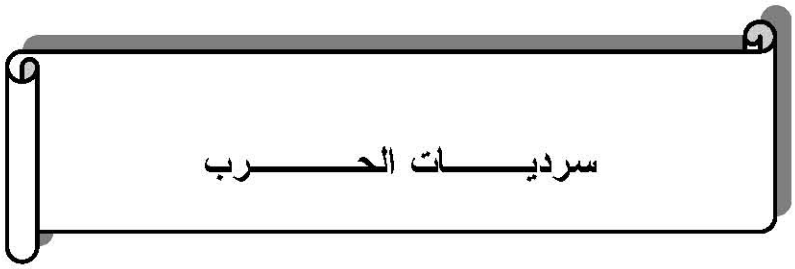

- ❖ انعكاس حرب ١٩٤٨م.
- ❖ صدى هزيمة ١٩٦٧م وأسباب الهزيمة.
- ❖ حرب تشرين ــ نظرة تفاؤلية ــ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ **مدخل :**

تأجج الصراع العربي الإسرائيلي منذ حرب عام ١٩٤٨م، وظهر واضحاً في حربي حزيران ١٩٦٧م وتشرين ١٩٧٣م. وتردى الواقع السياسي العربي فانفصمت عُرى الوحدة بين مصر وسورية. ودبت الفرقة بين الأقطار العربية، وزادت العزلة القطرية، وكثرت الشعارات، وتواضعت الانجازات نتيجة لحالة التفكك والحرب التي سادت في المجتمع العربي إضافة إلى ترسيخ مباديء القهر والقمع[١].

وكان لذلك أثر واضح في الخطابات السردية السوريّة التي آذنت بميلاد لون جديد من السرد هو اللون الحربي، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على التصاق الروائي بأحداث أمته[٢]. فقد عبّرت الروايات عن تصور هؤلاء السرديين ونظرتهم للوقائع التاريخية، والسياسية وإيجاد حلول لها، والتفاعل معها لبناء عالم سرديّ خاص بكل روائي على الخصوص.

وتشير مضامين الروايات الوطنية والسياسية إلى رغبة الروائيين السوريين في الاقتراب من الواقع الوطني والسياسي، إذ عبّرت روايات الحرب عن هذه الرغبة خير تعبير، ولوكان الروائيون بعيدين عن الواقع لما اهتموا بحربي حزيران وتشرين، فقد أدانوا هزيمة حزيران وراحوا يعللون أسبابها، ويدعون إلى تجاوزها. ومدحوا حرب تشرين

---

1 ــ انظر: سمر روحي الفيصل، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، ص٣٠٣.

2 ــ انظر: المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودعوا إلى تعزيز ايجابياتها. ومما لاشك فيه أن هؤلاء الروائين قدموا صوراً متنوعة لهذه الأحداث الكبرى في الواقع المحيط بهم. وكانت هذه الصور مرتبطة دوماً بالمجتمع والإنسان، وكأن الروائيين السوريين اقتربوا من هذه الأحداث ليتعرفوا موقع الإنسان منها وتأثيره فيها سلباً وايجاباً[١].

وشكلت الأرض مادة للعملية الأدبية، من حيث إنها امتلاك يجب الدفاع عنه والذود عن حماه؛ فظهرت معاني التشبث بالأرض، وانتظار عودة الأهل والأحبة إليها، وارتبط ذلك ارتباطاً وثيقاً بالأرض الفلسطينية والدفاع عنها[٢].

وكان الإنسان العادي البسيط في تلك الروايات ــ في الغالب ــ الشخصية التي أدّت أدواراً نضالية تعاني من الواقع، وتكافح من أجل حياة أكثر سعادة واطمئناناً، فنظرت إلى البطولة على أنها الفعل المؤثر في الأزمات، وأن صاحب هذا الفعل عندها هو ابن الشعب العادي الفقير الكادح الذي كان له دور في المفاصل الحياتية الهامّة ضمن هذا النوع من الروايات[٣].

وبرز في الروايات ــ التي تطرقت إلى الحرب ــ اتجاه جديد وذلك بالنظر إلى الحاضر على أنه ابن الماضي، وأن التاريخ حركة إلى الأمام وسلسلة متصلة الحلقات، في حين كان اتجاه الرواية قديماً ينظر إلى الماضي لذاته في نوع من النظرة السكونية، فاتكأ

1ــ انظر: سمر روحي الفيصل، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، ص٣٠٧-٣٠٨.

2ــ انظر: عبد الرحمن ياغي، أبعاد العملية الأدبية، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٧٩م، ص٥٨.

3ــ انظر: سمر روحي الفيصل، المرجع السابق، ص٣١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الروائيون على التاريخ بأحداثه الزاخرة للحديث عن الحاضر والحياة الحربية في هذا الحاضر بما تحمله من إيجابيات وسلبيات[١].

وفيما يلي نماذج روائية للعجيلي انعكست فيها أحداث الحرب:

أولاً: انعكاس حرب ١٩٤٨م:

شارك العجيلي في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، فكيف لا يعبِّر عنها تعبيراً صادقاً قريباً قرباً شديداً من الواقع؟، وهو الذي اطّلع على كثير من أسرارها، وتأثر بما رآه وعايشه، وكان لذلك انعكاس في نتاجه السردي[٢]، ويظهر ذلك جلياً في قوله: "والأسفار ميدان تجارب متعددة يعرف كل من قرأ لي أنّي استعنت بها كثيراً في قصصي. ومثلها تجاربي في ميدان العمل السياسي، وتجاربي في المشاركة القتالية في فلسطين عام ١٩٤٨م. هذه الأخيرة أثرت فيّ بشدة، وكانت الأساس في الكثير الذي كتبته قصصاً مختلفة، ومقالات متنوعة، كما دخلت بقوة في تصوراتي الأدبية والسياسية والفكرية"[٣].

1ــ انظر: المرجع السابق، ص٣١١.

2ــ انظر: محمود ابراهيم الأطرش، اتجاهات القصة في سورية، ص١٣١.

3ــ عبد السلام العجيلي، من نص محاضرة بعنوان تجربتي في القصة، مجلة الثقافة السورية، عدد تموز، ١٩٧٦م، ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ **نماذج قصصية تعْرض لحرب عام ١٩٤٨م:**

١. قصة بنادق في لواء الجليل من مجموعته القصصية قناديل اشبيلية:

تدور أحداث هذه القصة في منطقة "فراضة" وهي قرية تقع على الجزء الغربي من مدينة "صفد" الفلسطينية على الطريق الذي يصل صفد بالرامة وعكا[1]، وهي منطقة من المناطق التي قام الاحتلال الإسرائيلي بالاستيلاء عليها ضمن مايُسمى حاليّاً بمناطق "الثمانية وأربعون" أي تلك التي تم احتلالها في عام ١٩٤٨م.

ويصور العجيلي في القصة كيفية الحصول على السّلاح في هذه الحرب، إذ كان المجاهدون المناضلون يوفدون مندوباً عنهم ليشتري السلاح من سوريّا: "**ذهب أبو العبد إلى سوريا ليشتري سلاحاً فأعطيناه خمسة وعشرين جنيهاً ليشتري لنا بها بارودة جيدة. وقد قرّب أن يعود**"[2].

ويعرض لمسألة ارتفاع سعر السّلاح في زمن احتاج فيه المجاهدون إليه، فكلما سمعت قرية بقدوم أبي العبد لشراء السلاح رفعت من سعره "**لقد أصبح السلاح هناك في سوريا، أغلى من الذهب، كلما تسامعت بأبي العبد قرية ارتفع سعر البندقية خمسة جنيهات.... وأي بنادق؟ نعم لقد عاد التجار ببنادق جيدة، ولكنها ليست بخمسة وعشرين جنيهاً ولاحول هذا المبلغ.... الحكومة هناك سهلت مهمة أبي العبد، ولكن ماذا تفعل الحكومة**

---

1 ــ انظر: عبد السلام العجيلي، قناديل اشبيلية، قصة بنادق في لواء الجليل، ص٧٦.

2 ــ المصدر نفسه، ص٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع من لادين لهم ولا وطنية عندهم؟ كأننا نريد البنادق لا لندافع بها عن أعراضنا ودمائنا بل لنغرو بها ونكسب الأموال!"[1]. ويكون ذلك السلاح رغم ارتفاع ثمنه ليس سلاحاً جيداً ليستطيع المجاهد الاتكاء عليه والاعتماد على تقنيته؛ لأن من قام ببيعه أصلاً إنسان عديم الضمير وعديم الاحساس بالحس الوطني والقومي، فتكون الضحيّة الأولى لهذا النوع من البوارید يد حسونّة اليمنى: "**فمد إليَّ يده اليمنى وكانت كفها ممزقة يقطر منها الدم وتتدلى فوقها جلدة ذراعه: لقد أراد حقاً أن يجرّب بندقيته فصوبها إلى صخرة الجامع فانفجرت لأول طلقة في كفه... وكان واحد من أهل القرية يحمل حطام البندقية بيده. وخرج أبو سليم كسار الخيل يحمل المطهرات ولفافات الضماد ليسعف حسون. أما أنا فقد تطلعت إلى أبي حسون فرأيت عينيه يغرورقان بالدمع وهو ينقّلَ النظر بين أشلاء البندقية وأشلاء كف ابنه. وسمعته يتمتم، وأحسبه كان يعني شيخ العشيرة، الكريم، بائع السلاح الذي باع أبا العبد بندقيته مسكوفية مهترئة بخمسة وعشرين جنيها، أحسبه كان يعني ذلك فيما كان يقوله بينه وبين نفسه مردداً في خفوت: شكراً له، شكراً**"[2].

وها هو ذا في مقطع من مقاطع القصّة يعرض للحالات الشعورية لدى المجاهد، وأهل القرية الذين يقعون تحت الاحتلال: "**لقد هوجمنا، قنابل الهاون، والرشاشات والجيش الانكليزي يزحف. ووجمت كان ذلك منتظراً، فما كنا نخاف اليهود وإنما كنا نحسب**

---

1 ــ المصدر نفسه، ص٨١.

2 ــ المصدر نفسه، ص٨٢-٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حساب الانكليز. وكان يجب أن يطير فكري إلى إخواني في قلتهم والجيش الانكليزي بدباباته ومشاته يطوقهم. وإلى قرية الغديرية بدورها الحجرية القليلة وبيوتات الشعر المنتشرة بينها وقد ارتفع منها صراخ الأطفال وعقل الذعر ألسنة النساء فيها. كان يجب أن يطير فكري إلى ذلك ولكن هذا لم يحدث، وإنما الذي حدث أن عيني ثبتت على هيئة المجاهد الناجي بنفسه تتفحصه. كان شابّا في مقتبل العمر مستقيم القد أسمر المحيا قد انسجم عليه الثوب الخاكي"[1].

ويحس القارئ إحساساً عميقاً بالمجاهدين وأعمالهم البطولية فيما يقرأ من وصف دقيق لتطويقهم للمستعمرات، وسيطرتهم عليها، وإن كان ذلك نهاراً دون الليل؛ لأسباب حربية عسكرية تتحكم بها طبيعة الدفاع عن الأرض، وإزعاج العدوّ، وقض مضجعه في أوقات دون أخرى وفق الظروف المطروحة على أرض الواقع الجهادي الحربي لصدّ ذلك العدوان الغاشم: "**انتقلنا من طيطبا إلى دلاّتة لنكون أقرب إلى مستعمرة عين زيتيم التي كنا نطوّقها. وكان يفصل بيننا وبين تلك المستعمرة تل يشرف عليها، كنا نحتله نهاراً ونضطر لضعف حاميتنا فيه إلى الانسحاب عنه ليلاً خيفة هجوم لاقبل لنا بردّه. وكان ذلك يحزّ في نفس الملازم محمد فيظل يعض شفتيه حسرة على رشاشين يقيمهما على قمة التل ويتحدى بهما كل هجمات اليهود. وانتظر الملازم محمد من قيادته الرشاشين حتى أعياه الانتظار، حينئذٍ عاودته نوبة من نوبات فلسفته فقال لي: اسمع سنبيت الليلة**

---

1 ــ المصدر نفسه، ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على قمة التلّ. لتذهب الرشاشات إلى سقر فإن لدينا بنادقنا، وهي بنادق صالحة على كل حال"[1].

وينتهي الأمر باستشهاد الملازم "محمد" في سبيل الله دفاعاً عن الأرض والعرض والوجود على أرض الصمود أرض فلسطين المقدسة:" **ماذا أقص عليكم من حديث تلك الليلة؟ إنها الليلة التي فقدنا فيها الملازم محمد. كنا في خنادقنا التي حفرها رفاقنا قبلنا غارقين في الوحل اللزج الذي تخلف في قاع الخنادق من مزنة عارضة في صباح ذلك اليوم. وكانت أعيننا تتطلع في ثبات إلى أنوار ضئيلة تتسلل من شقوق براكات مستعمرة عين زيتيم ..... ولما أيقنا أن الجرار قد بلغ قاعدة التل تجمعنا نحن الأربعة حول الملازم محمد الذي قال: ــ ليشعل لي أحدكم سيكارة. وكان صوته في هذه المرة شديد الخفوت فمددت كفي أتلمس وجهه فهالني أن وجدت أصابعي تنغمس في سائل لزج حار يغطيه، فصحت: ــ سيدي، أنت مصاب!، فأجاب في هدوء: نعم يابني، أنا مصاب فضحتني هذه البندقية اللعينة. ولكن ماذا نستطيع أن نعمل؟ أليست خيراً من أن نهجم على الدبابة بأيدينا؟ ..... لاشك في أن ذلك خير من هذا إنه منطق الملازم محمد الذي**

---

1 ــ المصدر نفسه، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يفارقه حتى وهو ينزف آخر مافي عروقه من دم. رحم الله ذلك المنطق وصاحبه."[1].

تلك هي النظرة الواقعية التي تعكس صورة المجاهد الشجاع الذي روّى بدمائه أرض فلسطين ليدافع عنها ويذود عن حماها دفاعاً عن كرامة الأمّة وكيانها، لأن وجودها وكرامتها لايتحققان إلاّ بكرامة قلب هذه الأمة؛ فلسطين.

٢. قصة بريد مُعَاد:

إحدى الفكرتين التي تدور حولها قصة "بريد معاد" من المجموعة القصصية "قناديل اشبيلية" فكرة الجهاد والمقاومة، ناهيك عن الفكرة الأخرى، وهي تختص بعلاقة إنسانية بحتة هي علاقة الصداقة. ولكن ما يهمنا في هذا المقام الحديث على الفكرة الأولى التي لها علاقة وطيدة بالجهاد والمقاومة ضد الاحتلال في فلسطين في عام ١٩٤٨م، وفي قرية جدّين على التحديد.

ويهدي العجيلي هذه الرواية إلى شهداء هذه القرية بتاريخ ١٩٤٨/١/٢٠م. ويظهر التنبيه إلى قضية الجهاد والنضال في هذه القصة؛ ليصور مقاومة أبناء الشعب الفلسطيني وأبناء الوطن العربي ضد الاحتلال الظالم. عندما يصل المغلف إلى يد الأستاذ "عبد الحليم" المحامي؛ والغارق دائماً بموكليه وقضاياه وغارقاً في النظر إلى مشاكلهم، يفتح المغلف فإذا فيه رسالة قام هو بكتابتها ليرسلها إلى والده عندما كان في قرية جدّين يناضل ويجاهد

---

1 ــ المصدر نفسه، ص٨٩-٩٠، ص٩٤-٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع أصحابه في جيش الانقاذ في فلسطين. وفيها يخبر والده بالمهمة الخطيرة التي سيقوم بها في صباح الغد الباكر، وفيها يودع أباه إذا ما نال الشهادة.

وهذا نص من تلك الرسالة، رسالة المجاهد المناضل الذي تخلّى عن الدنيا بأسرها في سبيل الدفاع عن أرض فلسطين الغالية: "... **وستفخر يا أبت أني واحد منهم، واحد من أولئك الفدائيين الذين يقودهم الملازم عمر... هذه هي الحقيقة أقولها لك يا أبت، وهي التي جعلتني أخط إليك هذه الكلمات إنك لن تراني بعد الآن ولذا فإنني أنفض بين يديك دخيلة نفسي. لم أخف من الموت يوماً ما، ولكني أشعر الآن بأني آسف على الحياة. هذا كلام بيني وبينك أرجو أن لا يبلغ مسامع أمي، وإذا صرّت خالاتي على أن تقرأ عليهن هذا الكتاب فاقفز عن هذه الفقرة منه. أما أخي الصغير فليقرأ كتابي حين يكبر. إنه الآن بين لداته من صغار التلاميذ يروي لهم ما يوحيه خياله إليه عن مغامرات أخيه مع اليهود وراء الحدود. ما أسخف ماينسجه الخيال، على غناه. أما الحقيقة فهي راسخة متمكنة، على فقرها. والحقيقة، ياأبت، أني بعد غدٍ سأموت!**"[1]

ومع سبر أغوار النص السابق نلحظ قوة الروح الجهادية لدى عبد الحليم، ذلك الشاب الذي انضم إلى فرقة الملازم عمر، وهو الذي أقدم على الموت دون خوف ولعل هذا نابع من عمق الشعور بالقيمة الجهادية في سبيل الله، وعن حميّة المعونة للأهل في فلسطين في الذود عن حمى أرض فلسطين الطاهرة.

---

1 ــ المصدر نفسه، ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكتف الجهاديّ بذلك فحسب وإنما أراد أن يبث هذه الروح الجهادية الرفيعة في قلوب الجيل القادم، الذي لابد له من أن يصنع بقوة الجهاد والعزيمة نصراً مؤزراً؛ يستعيد فيه الأراضي المحتلة ويجابه غطرسة الاحتلال، من خلال تلك الوصيّة التي بثها لوالده في إطلاع أخيه حين يكبر على نص الرسالة.

وتعكس الرسالة أيضاً إحساس الأطفال بالقضية ذلك أن أحاديثهم مع أبناء جيلهم من الصغار الآخرين كانت تدور حول بطولات الفدائيين في فلسطين، ما أقرب ذلك الواقع الذي يعكسه العجيلي في قصته تلك من واقعنا المُعاش حاليّاً!.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: صدى هزيمة ١٩٦٧م وأسباب الهزيمة:

إن تاريخ الأمة العربية حافلٌ بالنشاطات السياسية، والمغامرات العسكرية. ومنها: حرب حزيران "النكسة" التي خسر فيها العرب جزءاً كبيراً من أراضيهم بعدما وقعت في يد المستعمر الإسرائيلي ليسيطر عليها وينهب خيراتها.

وقد نشأ هذا في أدبنا العربي الحديث ما يمكن أن نسميه بأدب النكسة الذي كان صدى لأدب النكسة الأولى عام ١٩٤٨م.

"بعد حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م، واحتلال البقية الباقية من الأرض الفلسطينية، ومرتفعات الجولان حتى القنيطرة، وسيناء حتى القنيطرة بلغ أدب النكسة ذروته، ومازال يمنح إيقاعاته من هذه الذروة في سائر الأوطان العربية، وبخاصّة تلك التي هزّ ضميرها الشعبي والرسمي والأدبي، الاحتلال الاسرائيلي السريع الواسع المفاجئ. ولم يعد الكتاب والأدباء الفلسطينيون وحدهم المعبرين عن أدب النكسة، فقد انضم إليهم معظم الكتاب والأدباء العرب، ومن بينهم السوريون والمصريون والأردنيون بصفة خاصّة، بعد أن نكبت بلادهم بالاحتلال الذي يخشى أن يصبح استيطاناً، بل أن يستفحل، فيصبح المزيد من أهل المدن والقرى العربية لاجئين جدداً"[1].

1ــ محاضرة سليمان فياض حول "فارس مدينة القنطرة "وأدب النكسة ضمن مجموعة محاضرات حررها وأشرف عليها ابراهيم الجرادي في كتاب "دراسات في أدب عبد السلام العجيلي"، الأهالي للطباعة والنشر، ط١، ص٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأدب النكسة هو صورة من أدب الحرب ولكنه "التعبير عن هزيمة لم تتحول بعد إلى مقاومة كبيرة، وإلى أمل مفتوح للنصر والمجالدة"[١].

ومن بين الأدباء العرب الذين عبّروا عن هزيمة عام ١٩٦٧م في سردياتهم ليعكسوا بذلك واقعاً عاشه العرب ذاكرين مبررات هذه الهزيمة فيما بين السطور، عبد السلام العجيلي الذي عبّر عن الهزيمة وأسبابها في قصته الشهيرة فارس مدينة القنطرة، فكيف عالج العجيلي أسباب الهزيمة وكيف عرض لهذه الهزيمة في سردياته؟

إن ما يقصد بكيفية معالجة الروائي لأسباب الهزيمة: تقديم تفسير لها، ولعل المرء يدرك في هذا المجال بأن الروائي يبذل جهده من أجل البحث عن إجابات سياسية جاهزة وحاسمة وإنما سيصب تلك الجهود في البحث عن تفسير علمي للهزيمة في خلال تفاصيل الممارسة الأدبية السَّرديّة الروائية منها أو القصصية[٢].

❖ **فارس مدينة القنطرة نموذجاً:**

قدمت قصة" فارس مدينة القنطرة" عالماً مليئاً بالأحداث والشخصيات ذات الصلة الوثيقة بمراحل تاريخية تعود إلى زمن الأندلس. ويؤكد العجيلي في بداية القصة بأنه علم بأحداثها وإنما علم بها من مخطوط لأسرة إسبانية كان قد حصل عليه. وكان جهده الخاص منصباً على عنونة القصة، وسد الثغرات، وإتمام الجمل في أماكن الفراغ محاولا بذلك أن

1ــ المرجع نفسه، ص٧٠.

2ــ انظر: شكري عزيز ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٨، ص٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحيط نفسه باحترازات واحتياطات تقيه من التفسيرات السياسية، أو "ماوراء النص" كما يقولون، ويظهر ذلك في مقدمة القصة حين يقول: "**لقد عثرت في الصفحات التي أرسلها إليّ الدكتور ص. على أكثر من حكاية آسرة من هذا القبيل. واحدة من هذه الحكايات القصة التي اسميتها "فارس مدينة القنطرة". العنوان من عندي، ولكن الأحداث واللغة التي رويت بها والتواريخ هي لمؤلف المخطوطة، لم أحرف فيها ولم أبدل. ربما أكون قد وضعت كلمات أو أتممت جملاً في بعض أماكن الفراغ التي تركها الدكتور ص خالية لأنه لم يقطع بقراءة كلماتها أو لتمزيق أو خرم في المخطوطة، وأما فيما سوى ذلك فلم أفعل إلا أن حذفت ماليس له علاقة مباشرة بسياق القصّة، أو وضعت علامات النقط التي رأيتها ضرورية**"[١].

ويذكر العجيلي في هذه المقدمة أنه سأل عدداً من أساتذة التاريخ عن القنطرة فأخبروه "**أن الأندلس القديمة كانت تحوي أكثر من مدينة وقرية وموقع بهذا الاسم، ومن أشهرها المدينة التي تقع على نهر التاج قريباً من الحدود البرتغالية على طريق لشبونة**"[٢].

ولكن العجيلي يرجح أن تكون هذه المدينة جنوبي الأندلس بين غرناطة والساحل الممتد من المرية إلى الجزيرة الخضراء والتي كانت مالقة أشهر مدنه، ويروي أحداث هذه القصة مؤرخ لايتبين من القصة إلا أن اسمه النعمان، ويكنى بأبي وائل، وهو مغرم بتدوين

1ــ عبد السلام العجيلي، فارس مدينة القنطرة، ص١٠.

2ــ المصدر نفسه، ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليوميات، منتمٍ إلى مدينة القنطرة الأندلسية، شاعر، وفارس ومحارب، إذ يذكر هذا الراوي وهو "أبو وائل النعمان" قصة ضياع القنطرة، وضياع أهل هذه المدينة بين لاجئين، وغرباء في مدينتهم، وكل ذلك ناتج عن الغزو الاسباني الذي قام به الإسبان على الأندلس قاطبة ومنها مدينة القنطرة، هذا الغزو الذي ماكان له أن يحقق نجاحاً لولا خيانة فئة من أبنائها وارتضائهم أن يكونوا عملاء لمصلحة الغزاة الإسبان، ناهيك عن حالة الفرقة بين أبنائها، حتى إنهم انقسموا في مواجهة العدوّ، ولم يتحدوا في أكثر الأوقات التي هم فيها بحاجة إلى توحد الكلمة والصف، فشاعت الفتنة في صفوفهم. وكان كل فريق يختلف اختلافاً كبيراً عن الفريق الآخر في مجابهة العدو؛ فالأول حمل من الشرف والكرامة راية له، لكنه لم يمتلك الخديعة والغدر فوقع ضحية للعملاء. وأما الفريق الثاني فهو على قلته اتخذ من الغدر شعاراً، ومن الغدر راية، باع وطنه، أحب السلطة، واستمد مكره من مكر جيش العدوّ، فكأنه دبّر وخطط لا لنفسه، بل للأعداء ولكل ما فيه مصلحة الأعداء. ويظهر ذلك واضحاً في هذه القطعة المأخوذة من القصة نفسها:

"**الأحد وهو السادس والعشرون من أيام صفر الخير، وفيه حضرت مجلس حرب في فسطاط أبي بكر بن مرداد خطب فيه الفقيه محمد بن حفص متعجباً من فرقة المسلمين، والعدو يحشد حشوده، إذ لاتواصل بين المضرية وفرسانها وبين جيش الأمير فرد عليه ابن مرداد أن المضرية من أهل القنطرة والجزيرة ندبوا أنفسهم للجهاد حين تجاهلهم**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمير فلم يعطهم سلاحاً، ولادعاهم إلى مشورة حرب، ولا استعان بهم في همّ. وأنهم أقاموا في السهل وهو عورة على البلاد ليسدّوا ثغرة لم يسدّها جيش ابن ساعر الذي جُلّهُ من زنجالة الجبل والذي تحصن في المرتفعات"[١].

لكن ماعلاقة هذا كلّه بحرب حزيران عام ١٩٦٧م؟

أشار العجيلي من خلال "فارس مدينة القنطرة" إلى كلّ ما أدّى إلى هزيمة ١٩٦٧م من الأخطاء العسكرية الفنية، ومن التخاذل والتواطؤ والخيانة وفقدان العرب الأصلاء الأقحاح ممن يدافعون عن الأرض والشرف؛ متخذاً من التاريخ نموذجاً يضفيه على الواقع الحديث ويحاكيه بخيوط مشتركة بين الماضي والحاضر[٢].

ويظهر في المقطع التالي من القصة تسليم القنطرة الأندلسية إلى العدو كما تنازل العرب عن أراضيهم العربية لأعدائهم لأسباب سوّغوها لأنفسهم: "**يا أبا بكر عجبت لمقامك في هذا الخطر وقد أنفذنا إليك الرسل بأن تجلو عن السهل. ألم يأتك أن القنطرة وقعت في يد العدوّ فما فهمنا والله لكلام ابن عمرون مغزى، ورأيت حدقتي أبي بكر كأن النار تشتعل فيهما وهو يقلبها بين ابن عمرون وبين الأشبان المعبئين تعبئة حرب على**

1ــ عبد السلام العجيلي، فارس مدينة القنطرة، ص١٧.

2ــ انظر: سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، المركز العربي للثقافة والعلوم، لبنان ــ بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسيرتنا، وسمعته يصيح إذن فعلتموها بعتم البلد لتوذر، وجئتنا وأنت وهؤلاء على سلم"[1].

وهنا يستطيع القارئ أن يعي وعياً تامّاً أن القنطرة بسقوطها تمثل كل مدينة سقطت في يد الصهاينة، ومنها مدينة القنيطرة السورية. ويتبين من ذلك كله أن العجيلي قد رسم خطّاً موازياً للأحداث في هزيمة العرب في الأندلس وضياع مدنهم، هذا الخط هو خط الهزيمة الحزيرانية عام ١٩٦٧م. وبعد وضع الرواية بأكملها تحت عدسة المجهر نستطيع استنتاج أمور أكثر صلة بواقع الهزيمة؛ فالشخصيات التاريخية باسمائها تخبئ وراءها أسماءً من الأصول الواقعية الحية لوجه التاريخ الحديث، فالإسبان هم الصهاينة، أما الأمير ابن ساعر وجنده فما هم إلا الحكام العرب ومؤسساتهم العسكرية الذين جردّوا الناس من التمتع بأسباب الحرية والتعبير عن الرأي، إضافة إلى عقد المهادنات مع العدو لتسليمه الأرض كما تم تسليم القنطرة الأندلسية في المقطع السابق من القصة، وبثوا في حنايا الجيش وجنباته نداء التعقل وضرورة التراجع لاستعادة القوى في التجهيز لمعركة حاسمة فاصلة.

1ــ عبد السلام العجيلي، فارس مدينة القنطرة، ص٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ ملخص لأسباب هزيمة ١٩٦٧م كما تظهر في قصة" فارس مدينة القنطرة":

إن القارئ المتفحص لقصة" فارس مدينة القنطرة" يستطيع أن يستنتج ثلاثة أسباب للهزيمة عرضها العجيلي على لسان شخصيات القصّة، وهذه الأسباب هي:

١. تواطؤ الأمير ابن ساعر وفسقه وهذا ماقال به المهلهل في القصة، وذهب إلى قتله، لأن ذلك سيخلص الناس من شروره ومن تحكمه بمصائرهم. وسوّغ المهلهل سبباً آخر وهو أن ابن ساعر ليس مضريّاً، وبالنظر إلى رأي المهلهل هذا نجده رأياً ضيق الآفاق تتحكم فيه العنصرية العشائرية، كما أن قتل "ابن ساعر" لايعني انتهاء كل "ابن ساعر" من هذه الدنيا، فالظروف التي أوجدته ستوجد غيره من القادة أشباهه "كابن عمرون" مثلاً الذي كان على صفات قريبة من صفات ابن ساعر. وفي ذلك إشارة إلى أن تردّي الحكم والحكام في البلاد العربية كان له دور بارز في هزيمة عام ١٩٦٧م.

٢. عدم نزول الأمير بجنوده إلى أرض العدوّ؛ لأن ذلك لوتحقق لكان صفعة قوية تربك العدوّ وتضعف صفوفه. وهو لم يكتف بذلك فحسب، وإنما أرسل ليخبر بسقوط القنطرة وهذا ما جاء على لسان ابن لعبون في القصّة. وبربط هذا السبب بهزيمة ١٩٦٧م، نستطيع أن ندرك الصدى التاريخي الذي أراد العجيلي أن يثبته، فقد تردد انتقاد للقيادة العسكرية السوريّة في منطقة القنيطرة حين اكتفت بالقصف المدفعي دون محاولة النزول من أعالي المرتفعات إلى السهول المحتلة، وبذلك يكون السبب الذي يعرض له العجيلي هنا هو سبباً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عسكريّاً بحتاً. وهذه رؤية ضيقة محدودة، لأن تدهور مؤسسات الدولة كافة؛ ومن بينها السياسية منها، والاقتصادية، والثقافية والعسكرية، كان سبباً واضحاً جليّاً من أسباب الهزيمة الحزيرانية.

٣. أما السبب الثالث الذي يراه ابن مرداس في القصة فمنصبٌّ على تواطؤ الأمير ابن ساعر وخيانته في وادي شرشال فالتواطؤ والجاسوسية في رأي ابن مرداس ــ وأظنه رأي العجيلي نفسه ــ يشكلان سبباً رئيساً في الهزيمة، ويعرض العجيلي للجاسوسية في شخصية "سبيلية" الجاسوسة الاسبانية زوجة ابن عمرون التي يصيح فيها المهلهل قائلاً: **"اسكتي ياغادرة ياخؤون. قالت: لست خائنة ولا خؤوناً، أحببت قومي فعملت لهم ولولاي لكان على الإسبان ان يخوضوا حرباً ضروساً وما كان النصر لهم مضمونا قبل أن يطؤوا ثرى الجزيرة، لست غادرة وإنما حمّلت هما فحملته ولا ذنب لي إذا كان في قومك مثل ابن عمرون"**[1].

وابن عمرون كما يظهر في القصة مضريّ تزوج من سبيلية الإسبانية وائتمنها على ماله وأهله وأسرار قومه فعملت هي في الخفاء في التتجسس لصالح قومها الإسبان.

أما عن علاقة تلك الأحداث بهزيمة ١٩٦٧م فقد أخذت الأوساط المختلفة على الساحة الشعبية وغيرها بعد الهزيمة تردد هذا السبب للهزيمة وتتخذه سبباً مباشراً لها، فالجاسوسية

1ــ عبد السلام العجيلي، فارس مدينة القنطرة ، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخديعة والتواطؤ، هي من الأسباب التي اتكأت عليها الساحة العربية في بيان أسباب الهزيمة.

ولكن ثمة قضية لابد من الإشارة إليها والتأكيد عليها وهي أن الجاسوسية ظاهرة طبيعية تنشأ عند وجود صراع بين طرفين متناحرين في كل زمان ومكان، لذلك يكون تأثيرها على المجالات التي ذكرناها سابقاً، وهي البنى الاقتصادية والاجتماعية وغيرها تأثيراً محدوداً، إلا أنها قد تتسبب في خسارة المعركة، لكنها سرعان ماتتبخر بالثورة العارمة، والإرادة الحقيقية، لذلك أرى في هذه الأسباب، كل منها على حدة سبباً ليس كافياً لتحقيق هزيمة كتلك الهزيمة التي لحقت العرب في عام ١٩٦٧ ذاهبة إلى ما ذهب إليه الدكتور شكري عزيز ماضي[1] إلى أن العجيلي نظر إلى الأمور نظرة سطحية فعلل وذكر أسباباً قد يكون لها أثر في الهزيمة، لكنها لاتشكل الرافد الأساسي الذي رفد الهزيمة وشكلها.

وبالنظرة العميقة نعي تمام الوعي بأن فساد النظام القائم في الدول العربية بمؤسساته السياسية منها، والثقافية، والاجتماعية والاقتصادية هو الذي كان يختبئ وراء هذا التراجع العربي، وهذا الضعف العربي الذي أدّى إلى هزيمة مقيتة في تاريخ العرب، هزيمة عام ١٩٦٧م.

1ــ انظر: شكري عزيز ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً: حرب تشرين ــ نظرة تفاؤلية ــ:

لقد خرجت تشرين من رحم المقاومة والشجاعة والحميّة العربية التي تحفز كل عربي على البذل والعطاء وعدم التخاذل في مواجهة العدو الغاشم. خرجت في شهر تشـــرين الأول من عام ١٩٧٣م لتكون فاتحة الأمل وبريقه اللامع الذي يبث شعاعاً وهّاجاً يبعث التفاؤل للنصر والتحرير.

وقد عكس العجيلي النظرة التفاؤلية لحرب تشرين في روايته "أزاهير تشرين المدمّاه" التي يقول عنها: "**روايتي هذه قصة إطارها متخيل وأحداثها واقعة. وقد انتقيت لأغلب أبطالها الواقعيين أسماء مستعارة، وإذا كان فيها من أسماء حقيقية فهي لمن استشهدوا وقضوا في سبيل وطنهم والمثل العليا. وهي عمل أدبيّ مقتضب لم يتسع إلا للمع ضئيلة من أحداث حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣م وبطولاتها في مختلف ساحات القتال**"[١].

❖ **رواية ــ أزاهير تشرين المدمّاة ــ نموذجاً:**

إن الباعث الأساسي الذي حدا بعبد السلام العجيلي لكتابة هذه الرواية إنما هو تلبية رغبة وزارة الثقافة السورية في إنتاج عمل درامي على هيئة شريط سينمائي عن حرب تشرين عام ١٩٧٣م[٢]، فكان هذا العمل السرديّ بهيكله المبني على شخصيات رئيسة ثلاث، هي الملازم "سامي" والمساعد "نعمان"، والآنسة "ياسمين" الممرضة ضمن خط سرديّ

١ــ عبد السلام العجيلي، أزاهير تشرين المدمّاة، ص٧٠.

٢ــ انظر: سمر روحي الفيصل، ملامح في الرواية السورية، ص٣٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكّل شبكة من العلاقات بين هذه الشخصيات وبين حرب تشرين نفسها. ويظهر من الرواية أن سامي هو بطل الأحداث فيها.

تدور الأحداث بين الشخوص في القصة؛ فمنها ما كان له علاقة مباشرة ببنية الرواية، ومنها ماكان حدثاً عارضاً تتطلبه البنية السردية والنسيج الروائي، ومن الأحداث الهامّة في الرواية ماجرى بين الممرضة ياسمين وزوجها "محمود" من إيقاف الحياة الزوجية بالطلاق لأسباب سياسية، فوجهات النظر السياسية مختلفة عند كل من الطرفين؛ إذ كان محمود يمثل الفلسطيني اليائس من حل جذريّ لقضيته، فهو يتهرب منها، ولا يحس أن النصر قادم، ولايرى أن العسكريين يمكنهم أن يصنعوا شيئاً من أجل القضية؛ فلم يرغب بعمل "ياسمين" في مستشفى عسكري، ولذلك أنهى العلاقة الزوجية بينهما، ثم ولّى هارباً إلى إحدى دول الخليج، وكأنه يعلن بذلك تخليه ليس عن زوجته فحسب، بل عن قضية وطنه، وكيانه، ووجوده في هذا الوطن. ويظهر كل ذلك في المقطع التالي من الرواية على لسان "ياسمين": "**أردت أنا أن أعمل في مستشفى عسكري. فلم يقبل هو. كان يريدني أن أبقى في البيت، وإذا أردت العمل أن أبتعد عن العسكر. قال لي إنه مصاب بتحسس ضد الجيوش، الجيوش، على قوله، هي التي أضاعت وطننا. لو دافع عن أرضنا الناس العزل لما ضاعت كما أضاعتها الأسلحة. .....كنت أتهمه بالتشاؤم والاستسلام، وأحياناً بالجبن، وبأنه يريد أن يهرب إلى بلدان الخليج لينسى الأرض التي عليه أن يحارب من**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أجلها"[١].

ولكن محموداً بأفعاله كان أكثر صدقاً وواقعية من أقواله حين لاقى ربّه شهيداً، حيث عاد إلى الجيش بعد طلاقه من "ياسمين"، واستشهد في سيارته حين كان طعماً سهلاً لمدفعية العدو. وهاهو الملازم "سامي" بطل الرواية يروي تفاصيل استشهاد الملازم "محمود" كما لو أن التاريخ يعيد نفسه، فصورة استشهاده كصورة استشهاد الكثيرين بعده ممن لاحقتهم دبابات العدو وقصفتهم في مركباتهم: "**توقف للحظة كما قلتُ لكِ ثم انحدر بسيارته حتى أصبح طعماً سهلاً لمدفعية العدو التي ما اكتشفنا مرابضها..... كنتُ أرى الملازم محمود سرحان، ينحدر بسيارته مسرعاً نحو الشاطئ، في اتجاه مصدر النار العدوة. هل جن؟ هل كان يبحث عن تضريس يحميه ورفاقه بعد أن أصبح مكشوفاً في العراء؟ أم لعله مصممٌ على أن يبلغ ضفة طبرية بأي ثمن؟! كنا في عربتنا، عناصري أنا، من الأخدود في مأمن يسمح لنا أن نرى ولا نُرى، ولكننا كنا نعيش الخطر الذي كان يتعرض له فصيل الملازم "محمود" في تلك اللحظة. قلت لنفسي إنه إذا استمر في تقدمه فستصيبه الرمايات الموجهة إليه حتماً... وكأنما بلغت كلماتي الملازم "محمود"، فقد رأيت عربته تنحرف إلى اليمين في اتجاه التلة التي عنيتها، ولكن النهاية كانت في ذلك الانحراف. فقبل أن تبلغها التهبت فجأة بقنبلة لم نسمع إلا متأخراً صوت انفجارها، كأنها**

١ــ عبد السلام العجيلي، أزاهير تشرين المدمّاة، ص١١٧- ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عود ثقاب اشتعل أمام أعيننا"[١] وهكذا قضى الملازم "محمود" أجله بنيران العدو ليكون شهيداً من بين الشهداء الذين روّوا بدمائهم الأرض العربية الفلسطينية.

ومن صور البطولات التشرينية التي ظهرت في الرواية صورة الرائد "بشارة" حين غرق زورقه في الماء، فأكمل الطريق سباحة بالاعتماد على ذراعيه في الماء البارد حتى وصل إلى شاطئ اللاذقية[٢] لتكون النتيجة على لسان سامي في قوله: "**القوة ليست في السلاح وحده، بل هي في شجاعة الرجال، وتصميمهم، وعنادهم، مع السّلاح. أو ربما هي قبل السلاح**"[٣].

أما النقيب "سليمان" فهو الشاب الفتي، الطيار الذي لم يأبه بنيران العدو، أصرَّ على الهبوط بطيارته والعودة بها إلى المطار رغم الخطر الذي ينتظره وكانت الطائرة قد أصيبت في جوانبها سبعة تمزقات في أماكن حساسة[٤]، ونتج عن هذه الشجاعة البطولية إصابات بليغة هاهو يرويها للعقيد نور: "**كنت في وعيي حين أنزلت من مقعدي، وحين شدّوا على فخذي ضماداً ضاغطاً لقطع النزيف، أما بعد ذلك فلم أنتبه لنفسي إلا في**

١ــ المصدر نفسه، ص١٧- ١٨.

٢ــ انظر: المصدر نفسه، ص٩٥.

٣ــ المصدر نفسه.

٤ــ انظر: المصدر نفسه، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستشفى.... بسبب إصابتي في فخذي بقذيفة حطَّمت العظم ومزقت اللحم"[١]

ولا شك أن لهذه القصص البطولية وقعاً قوياً في النفس يؤكد بطولة الرجال، وحميّة الشباب للدفاع عن حياض الوطن، وفي ذلك نظرة تبعث على التفاؤل والأمل بأن هذا الجيل الشجاع لابد من أن يورّث شجاعته للأجيال القادمة لتحقيق النصر الشامل والعيش بأمان وسلام على وجه هذه الأرض.

ولكن ثمة سؤالاً يستوقفنا إذا ما أنعمنا النظر في عنوان هذه الرواية لنسأل: هل يحمل العنوان في طياته روح التفاؤل التي تحدو بالعرب إلى برّ الأمان بعد كل النكسات السابقة التي حلّت بهم؟.

إذا ما التفتنا إلى حدث بارز في القصة أشار إلى العنوان نستطيع تفسير ذلك وهو وجود زهرة برية إلى جانب جثة الملازم "محمود"[٢]؛ هذه الزهرة التي لطخت بدماء الشهادة فكانت مدمّاة، ولكنها زهرة واحدة، فلماذا عنون العجيلي الرواية بصيغة الجمع لا بالمفرد؟

إن أزاهير تشرين المدمّاة هذه ماهي إلا صورة للبطولات الكثيرة التي قام بها أبناء العرب الأحرار لتخليص أرضهم من براثن الاحتلال الغاشم، والزهرة مبعث للأمل والتفاؤل، ولكنها الزهرة التي لطخت بدماء الشهداء فاكتسبت قيمة معنوية أعلى بكثير من أيّ زهرة غيرها لتشكل منظومة التفاؤل بعينها، وتكون الأمل الذي سيوضع على قبور

١ــ انظر: المصدر نفسه، ص٧٩.

2ــ انظر: المصدر نفسه، ص١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشهداء، تمجيداً لذكراهم، وتشجيعاً على السير على خطاهم لاستعادة الكرامة والرفعة التي سُلبناها في نكساتنا السابقة.

وتؤكد الرواية على التضافر العربي في مجابهة العدو الإسرائيلي لتحقيق الانتقام والثأر للنكبات السابقة، والدفاع عن كرامة الأمة بأكملها. ومن هنا كانت نظرة تفاؤلية أخرى لأحداث الرواية، فاجتماع العرب على كلمة واحدة، وتضافر جهودهم بشكل متراص، مبعث من مباعث الأمل بتحقيق النصر الذي شاء له الله أن يرى وجه النور على أيدي أبطال تشرين.

وتظهر هذه النظرة المشرقة في آخر الرواية على لسان إحدى شخصياتها: "**يالها من محن خضناها في تلك الأيام. إلا أن المحن لم تحطمنا وها نحن قد خرجنا من لهيبها في صفاء الفولاذ وقساوته، أقدر على خوض مشكلاتها المقبلة وعلى الفوز فيها.... إن الجو على برده جميل، والحياة على مشقاتها جديرة بأن تحيا! وألقيت برأسي علىمسند المقعد خلفي، يملأ هدير محرك السيارة مسامعي، وقد غمرني رغم الزمهرير ذلك الدفء العذب الذي ملأ قلبي في هذا الصباح**"[١].

وبذلك كانت حرب تشرين النقطة المضيئة في تاريخ الأمة، ووسام الشرف الذي توج جبين كل عربي يحلم بالحرية، والنصر، ليلقى حقيقة واقعة في البطولات التشرينية ولعلنا نطالع تشريناً أخرى عمّا قريب لنسترد ولو جزءاً من كرامتنا المهدورة.

١ــ المصدر نفسه، ص١٥١- ١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثالث

القرية والمدينة في سرديّات العجيلي

- الرواية الريفيّة (القروية).
- الرواية المدنية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **مدخل:**

صورت الرواية الواقعية في سورية مجتمع المدينة ومجتمع القرية على حدٍّ سواء، وذلك بعرض أبرز السمات التي تميز كل مجتمع من هذه المجتمعات ضمن الظروف البيئية والمعيشية التي تعيش فيها؛ وما من شك في أن التصوير الشامل للمجتمع بالمفهوم الواقعي لا معنى له إذا انصرف الحديث إلى الريف دون المدينة، أو المدينة دون الريف لأن المجتمع كلٌّ واحد لا يمكن فصل جزءٍ منه عن الجزء الآخر، ولأن نمذجة الشخصية تنبع من المحيط الاجتماعي الذي ينتمي الفرد إليه والوضع الاجتماعي الذي يشغله[١].

شكلت كل من القرية والمدينة بعداً هامّاً في البنية السردية عند كثير من السرديين العرب الذين استطاعوا أن يحبكوا سرديّاتهم في قالب لغوي خاص وفي أطر معرفية خاصة استطاعوا من خلالها عكس صورة واضحة عن طبيعة الحياة في كل من القرية والمدينة، هذا بالإضافة إلى عكس صورة واضحة عن طبيعة الشخوص وتفاعلها مع بنية المجتمع العامّة. ثم عكس السرديون مرحلة بارزة هامّة وهي مرحلة "الانتقال من الصحراء، والقرية، إلى المدينة، من مجتمع اقطاعي عشائري إلى مجتمع مدني حديث"[٢]. ولعل هذه سمة بارزة ميّزت بنية السّرد عند العجيلي في سرديّاته.

١- انظر: سمر روحي الفيصل: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السوريّة، ص٨٩.

٢ــ محمد كامل الخطيب، السهم والدائرة، سلسلة دراسات نقدية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٩م، ط١، ص٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : الرواية الريفيّة (القروية):

وهي الرواية التي عرضت للقرية والمجتمع الريفي، "وتشمل كل مايتعلق بالقرى وأحوال سكانها، مع ما للريف من اتصال وثيق بالطبيعة"[١].

"لقد اتجه الكتاب إلى مجتمع القرية الثريّ بأشخاصه وأحداثه، بل وبالأشكال القصصية التي تضرب بجذورها في أعماق التراث، وقد لاحظنا اهتماماً مبكراً بالبيئة الريفية ويظهر ذلك في "رواية زينب" لمحمد حسين هيكل، التي تعد من الروايات البكر في تاريخ الرواية العربية الحديثة. وقد كان للبيئة الريفية أثر بارز في اتجاه الكاتب نحو استلهام الفن الملحمي الرائج في الريف وبثه في الخطابات السّردية المتنوعة"[٢].

وبتسليط الضوْء على طبيعة الرواية السورية الريفية نجد أن السرديين السوريين وبخاصّة هؤلاء المنحدرين من أصل ريفي" قد حاولوا قراءة الماضي لمعرفة أصول أفكار الحاضر الريفي، وراحوا يعالجون المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ويوضحون طبيعة المجتمع الريفي"[٣]

1ــ انظر: أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دارالعلم للملايين بيروت،١٩٦٧م، ط٤، ص٣٣٤.

2ــ انظر: عبد العزيز شرف، الفن الروائي والوعي الأخلاقي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٨٨.

٣ــ سمر روحي الفيصل: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السوريّة، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن، ما موقف العجيلي من الريف؟

وكيف استطاع أن يجسد واقعاً ريفياً يعرض من خلاله السمات البارزة لمجتمع القرية، والعلاقات السائدة في هذا المجتمع؟، وهل نجح في تكوين عالم سردي متكئٍ على البيئة الريفية؟.

لقد برع العجيلي في تصوير واقع الحياة الريفية القروية، كيف لا وهو ابن البادية، ابن القرية الذي تعايش معها ومع مجتمعها في كل صغيرة وكبيرة، ونشأ في بيئة قروية ظهر أثرها واضحاً جليّاً من خلال سرديّاته التي تعرض لعلاقة الإنسان بالطبيعة، كما تعرض لنظرة المجتمع إلى القروي ولقضية العلم والتعليم، والنظرة العامّة للمرأة داخل المجتمع الريفي وغير ذلك من الموضوعات.

❖ **انعكاس البيئة الريفية في سرديّات العجيلي:**

أ. مواجهة الطبيعة:

ويقصد بها مواجهة الظروف الطبيعية كالسيول، وارتفاع درجات الحرارة، والجفاف، وغيرها. ولأن الخطابات الأدبية عكست في كثير من الأحيان طبيعة الحياة "انطلقت بعض الروايات الريفية من أن الفلاح يتوقع دائماً مواجهة الطبيعة في صورة انحباس المطر أو فيضان النهر. ولا يكاد حاضر هذه الروايات يخيّب أمل الفلاح، فالمطر ينحبس، والنهر يفيض. وإذا كان هناك تنويع في النغمات فإن الروايات تمنح الفلاح المطر ولكنها تصيب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرضه بآفات حيوانية تقضي على موسمه الذي نجا من انحباس المطر وفيضان النهر. وفي الحالات كلها تضع هذه الروايات للفلاح نهاية بائسة ليست أحسن حالاً من بدايته، وكأنها تبذل الجهد وتسوّد الصفحات من أجل توكيد الصورة التعسة للفلاح.

على أن هناك روايات ريفية أخرى نظرت إلى الفلاح في أثناء ثورته على انحباس المطر وفيضان النهر، وراحت تصور نجاحاته في ثورته أو إخفاقه فيها وكأنها تنطلق من أن الصورة التعسة للفلاح ليست قدراً لافكاك منه، وإنما هي عادات سائدة لابد من الثورة عليها"[١].

وينطبق ذلك على رواية "المغمورون" التي جسد من خلالها العجيلي مواجهة الفلاحين لمياه الغمر التي ستأتي على قريتهم وتقضي عليهم، ويعرض في الرواية مأساة الفلاحين ولجوءهم للدولة حتى تقوم بحل هذه المشكلة، وللجمعيات التعاونية التي يمثلها "عثمان" بطل هذه الرواية، الذي يسعى جاهداً إلى نقل أبناء القرية، ومن بينهم أهله إلى القرية المعدّة لهم لمواجهة الغمر، إنها قرية "الهدلانية".

"**أما عن القلق والترقب، فإنهما استبدا بعثمان منذ تهيأ لجولة ذلك الأسبوع مبتعداً عن فتاته. أسبوع كامل ينتقل فيه من قرية إلى قرية في المنخفض حول مجرى النهر، حيث ستتجمع مياه الغمر وراء السّد . ماالذي يقدر على أن يقوله لقاطني تلك القرى**

١ ــ انظر: سمر روحي الفيصل: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السوريّة، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حين يأتيهم بأخبار قرارات جديدة لم يسمعوها منه قبلاً، ولاكان في ظنه هو أنه سيلقاهم بها قبلاً؟.....كان يشرح لهم، بطلاقة، الفرق بين بيوتهم الطينية القميئة وبين المنازل الجديدة التي صممت لراحتهم وصحتهم. وبين الحين والحين كان أحد الفلاحين يرد عليه بما يشبه التهديد بالتمرد، بأن يصرخ قائلاً: إنه لن يترك داره ولو أحاطت به مياه السد من كل جانب"[١].

يظهر في المقطع السابق من الرواية المشكلة التي تواجه الطبيعة بها سكان القرى، وهي مشكلة ارتفاع منسوب المياه في النهر مما يؤدي إلى إغراق القرية، وإجبار ساكنيها على الرحيل إلى قرية الهدلانية الجديدة المعدة لهم. ولكن انتماء القروي لمسقط رأسه وتشبثه بمحل إقامته تدفعه في كثير من الأحيان إلى رفض الخروج وتفضيل مواجهة الغمر على الرحيل.

وها هو ذا يصف لنا هذه الظاهرة الطبيعية "الغمر"، وكيف كان لها الأثر الواضح في القضاء على حياة هؤلاء الفلاحين القرويين في مساكنهم وتجسيد معاناتهم وبؤسهم: "**يوماً بعد يوم كان بساط الماء الذي ينسجه الغمر يتسع ويعمق. اختفت تحته الأرض الواطئة، ثم العالية، ثم الأعلى والأعلى. المنازل التي غسلت المياه أعتابها في البدء تزنرت به بعدها ارتفع إلى أوسطها، ثم تهاوت جدرانها فتحولت لبناتها إلى كتل وحل ترسب في**

١ــ عبد السلام العجيلي: المغمورون، ص١٢٨-١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قاع بحيرة الغمر، بينما طفت على سطح البحيرة أعمدة السقوف وأخشاب الشبابيك والأبنية الخفيفة التي ماحملها المغمورون معهم قبل رحيلهم . قلة من الأبنية ظلت قائمة، هي تلك التي كانت مبنيةعلى مرتفعات لم يبلغ الغمر مستواها بعد. ظلت هذه الأبنية كأشباح معزولة في فلاة مقفرة، ترتسم ظلالها على وجه الماء طويلة كثيفة في الأصائل"[١].

ومن صور مواجهة الطبيعة ما جاء على لسان "أبي عثمان" في تبريره لجريمة قتل اقترفها، فبعد اعترافه بالإقدام على هذه الجريمة؛ إلا أنه يلقي باللوم في النهاية على الطبيعة القاسية التي يعيشها الريفيون، وأن الطبيعة هي المسؤولة المباشرة عن ذلك: "**قتل ابن عمي ناس كثيرون غيري. قتله حر ذلك اليوم الجهنمي، وعطش قطعان الغنم في البادية المقفرة، وماء القليب البعيد الغور المر المذاق، وقتلته الشمس ..... الشمس التي كانت تلتهب في وسط السماء فتذيب مخ الرجال في رؤوسهم وترفع الأيدي في الخناجر حتى تنغرس في الصدور.....وتوقف لحظة عن الكلام، ثم عاد يقول: نعم يا بنتي يا ندى.... الشمس، والبئر، والعطش، والبادية هي التي قتلت ابن عمي، وقتلتني معه..... كان ينطق بهذه الكلمات وكأنه بتكرارها على لسانه يحيا الجو الذي يصفه**

١ــ المصدر نفسه، ص٢٩٥-٣٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بها، جو الحر اللافح والبادية القفراء والعطش الملهب للأجواف، على بعده عن كل ما يذكره في ظل الغرفة الظليل"[1].

ب.الصراع الاجتماعي:

غالبا ما يدور الصراع في المجتمع بين فئتين متضادتين لذا "حاول الروائيون تصوير الصراع الاجتماعي بين الإقطاعيين والملاكين الكبار وبين الفلاحين، والبؤرة المركزية للصراع هي استغلال الفلاح وتسخيره للعمل دون مراعاة حقوقه. ودون شك، فقد وقف هؤلاء الروائيون ومنهم العجيلي من الفلاح موقف النصير، وكانوا راغبين في التعبير عن شقائه الإنساني في ظل الإقطاع"[2]، ويظهر ذلك جليّاً في رواية العجيلي "قلوب على الأسلاك" هذه الرواية التي كتبها متأثراً "بالمشاريع التوحيدية، الثنائية والثلاثية والرباعية، وببداية أزمة حركة التحرر الوطني العربية من جهة، وبتجربة الوحدة السورية المصرية التي عاشها وما تلاها في الستينات من جهة ثانية"[3]. فتظهر عائلة آل عمران، التي لا تزال تعيش في القرية، وتستثمر الأملاك الواسعة وبساتين الزيتون، وحقول القطن، وهي من طبقة برجوازية، وهي تحاول تطبيق نظام الإقطاع داخل القرية، ومن هذه الطبقة أناس اتجهوا اتجاهاً استثمارياً رأسمالياً، كما فعل آل عمران أنفسهم ببنائهم للمؤسسة الهندسية

1ــ المصدر نفسه، ص٢٩-٣٠.

2ــ سمر روحي الفيصل، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، ص٨٨.

3ــ محمد عادل عرب، المعالجة الفنية للتاريخ في الرواية السورية حتى عام ١٩٦١م، ص٣٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهائلة، ذات الاتصالات الوثيقة بالحكم وبالغرب وذات المصالح النافذة في الأقطار العربية الأخرى[1].

وهناك وجه آخر من وجوه الصراع الاجتماعي الذي يظهر في القرية أو في الريف ذلك الصراع القائم بين المستثمرين الذين يأتون للقرية من أجل إقامة مشاريع استثمارية تظهر فيها مصلحة الفلاحين كاستبدال مساكن أفضل بمساكنهم على سبيل المثال وهي في الواقع ليست أجود بناءً. أو على شكل مشروعات تقوم بها مؤسسات الجمعيات الخيرية. وهذا ما ظهر في رواية "المغمورون" حيث تم الصراع بين "عثمان وأهل القرية نتيجة تراجع الدولة، بالتعاون مع الجمعيات التعاونية التي ينتمي إليها "عثمان"، عن إعطائهم مساكن الهدلانية التي هي على درجة عالية من الإتقان ومواكبة العصر، حتى يصل الأمر بأن يتهم الفلاحون "عثمان" بالكذب والتواطؤ، ولعل هذا شكل من أشكال الصراع الاجتماعي السائد في القرية.

"هذا الذي نسي عباءة أبيه السعدونية الخشنة وصار يلبس كوفية شفافة وسترة مكوية، وصار يحلق وجهه كل يوم متعطراً بماء الورد. يقول إنه منا... وهو الذي كذب علينا . كان يجيئنا في دورات التوعية ويقول لنا: هذه القرى التي تبنيها الدولة لكم.....

1ــ أنظر: عبد السلام العجيلي، قلوب على الأسلاك، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض نزرعها من الملاكين ونعطيها لكم لا الدور التي بنوها صارت لنا، ولا سلمنا على دورنا التي بنيناها بأيدينا. أرضنا أكلتها المياه"[1].

ج. ملامح حياة الأفراد في القرية:

وتدور ملامح حياة الأفراد في القرية في مجموعة من المحاور الأساسية تتلخص فيما يلي:

١- عمل أهل القرية.

٢- اللباس.

٣- الوازع الديني عند أهل القرية.

٤- مفاهيم أهل القرية "عادات وتقاليد".

٥- طبيعة الحياة في القرية.

1ــ عبد السلام العجيلي، المغمورون، ص٣٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ **عمل أهل القرية :**

تتجلى المهنة الرئيسة لأهل القرية بالعمل في الأرض؛ بزراعتها ورعايتها وتقديم الخدمة لها، مما يطلق عليه مهنة الفلاحة. وطبيعة عمل أهل القرية هذه تتضمن متطلبات رئيسة لابد من تحقيقها لإنجاح هذه المهنة. وقد ظهر التعبير عن طبيعة عمل القرويين واضحاً جلياً في الخطابات السردية التي وجهها عبد السلام العجيلي لقرّائه:

"**والخطة التي يشير إليها الأستاذ سليم الخطة الزراعية لهذا الموسم في المنطقة التي يملك المحامي وجاره الفلاح اسماعيل العبد الله قطعتي أرض في إحدى قراها . خطة هذا العام تقضي بأن يُبْذَر خمس المساحة من كل حقل، أي عشرون بالمائة منه، بالفستق السوداني الذي يسمونه فستق العبيد، بغية تأمين حاجة مصنعٍ لاستخراج الزيت من بذور هذا النبات أقيم في المنطقة مؤخراً**"[١].

أما المهنة الأخرى التي يعرض لها العجيلي في سردياته فهي مهنة نقل الخضار والمواشي. فمن الطبيعي أن تقوم فئة من الفلاحين بامتهان هذه المهنة، فتقوم بنقل نتاج الأرض الزراعية لتسويقه في الأسواق المنتشرة في المدينة أو في القرية ذاتها، بالإضافة إلى نقل المواشي التي تتم تربيتها في الأرض الزراعية. ويظهر ذلك في قصته "الأجل" من مجموعته القصصية "موت الحبيبة": "**أخبرتك يا سيدي بأني سائق سيارة حمولة. سقت**

---

١ ــ عبد السلام العجيلي، موت الحبيبة، دار طلاس للنشر، ط١، ١٩٨٧م، ص١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل الآن سيارات صهريج وشاحنات كبيرة، أما سيارتي الحالية فشاحنة صغيرة، أنقل بها مختلف الحمولات من حلب، وأملؤها خضاراً أو مواشي من القرى"[١].

وينقلنا العجيلي إلى عمق الحياة القروية حين يصف مهنة أخرى وهي مهنة تصنيع الجبن وتسويقه لدى بقالات القرية لبيعه لأهل المدن، ولأهل القرية الذين لا يقومون بتصنيع الجبن ويظهر ذلك في دكان أبي مروان من قصته "العصافير":

"**وهذا يوم كسائر أيام أبي مروان. كان الضحى قد فات واقتربت صلاة العصر بعد الظهر. باع أكثر ما ورده من جبن اليوم، ومازال في (الطسوت) مع ذلك أقراصُ جبن كثيرة، مكتنزة ومدورة، ناصعة البياض. وقف بباب الدكان رجل لم يسبق لأبي مروان أن وقعت عيناه عليه. ليس من البلدة قطعاً ولامن حولها. يبدو ذلك من ثيابه التي ماكانت من صنف ثياب أهل البلدة، وتدل على يسر حال. بعد أن قلّب الرجل الغريب بعض الأقراص بأطراف أصابعه سأل عن الثمن. قال له أبو مروان عن سعر اليوم، وأنقص له من سعر الصّباح شيئاً زهيداً"**[٢].

وها هو ذا "محمد ويس" في قصة الرؤيا من المجموعة القصصية قناديل اشبيلية يمتهن مهنة من نوع آخر، وهي مهنة سمسار في سوق الدوّاب حيث كانت هذه المهنة من المهن

1ــ عبد السلام العجيلي، موت الحبيبة، ص١١١.

2ــ المرجع السابق نفسه، ص٩٧-٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي يمتهنها أهل القرى. والمحظوظ منهم من كان يوفق بظروف جيدة في البيع، وكانت هذه الأسواق محددة بأيام معلومة من الأسبوع:

"**وإذا كان قد كابر في الأيام العشرة الأولى واستمر يروح ويغدو بين منزله وبين سوق الدّواب حيث كان يعمل سمساراً**"[1].

❖ **اللباس في القرية:**

يتميز لباس أهل القرية عن لباس أهل المدينة في أي بلد من البلاد العربية، حتى إن هيئة اللباس في قرية ما تختلف في بعض الأحيان عن هيئة اللباس في قرية أخرى داخل الدولة نفسها. فللباس طابع خاص يعكس طبيعة القرويين، وطريقة معيشتهم في كثير من الأحيان وقد تنبه العجيلي إلى ذلك فوظف تميز لباس أهل القرية عن غيرهم بما يساعده في بنية الحدث السّردي الذي يسعى إليه. وكثيراً ما كان يتكئ على وصف اللباس من باب الوصف الخارجي للشخصية حتى يعطي للقارئ انطباعاً واضحاً عن تلك الشخصية وبذلك تقترب بنيته السردية من الواقعية الشئ الكثير.

وفيما يلي عرض لبعض النصوص السّردية التي يظهر فيها لباس أهل القرية في البنية السّردية العجيليّة:

1ــ عبد السلام العجيلي، قناديل اشبيلية، ص١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فها هو ذا يصف لباس بعض النساء القرويات: "**فهي لم تكن إحدى الفلاحات المجلببات بالسواد اللواتي يتناثرن على طريقه كل يوم**"[١]، ويصف "عثمان" القروي ويبين قرويته من خلال ثيابه في روايته المغمورون: "**فلاح ابن فلاحين، يرتدي الثياب القروية**"[٢]، ويظهر ذلك من خلال الرواية أيضاً في حديث "ندى" مع "عثمان" في قولها له: "**أنا واثقة من أنك ستنزل على إرادتنا، أمك وأنا، في يوم مقبل فتهجر هذه الكوفية والعقال، وهذه الدشداشة**"[٣]. وهذه الملابس هي الشعار الذي يشير إلى القروي وأصالة تجذره في القرية وانتمائه لها.

❖ **الوازع الديني عند أهـــل القريـــة:**

يظهر الوازع الديني متجلياً بشكل واضح عند أهل القرى، وهذا التوجه يكون في أغلب الأحيان نابعاً من العادات والتقاليد، أو من التربية الصالحة؛ حيث ينبت الطفل في بيئة اجتماعية مليئة بالأخلاقيات النابعة من العقيدة والدين، وما صورة شيخ مسجد البلد في القرية إلا مثالٌ واضحٌ على تمسك أهلها بوازعهم الديني، فكان الشيخ في القرية يشغل دور المعلم الباني المرشد الذي يوجّه طلبته إلى أسباب المعرفة التي لها صلة وثيقة بتعاليم الدين، هذا بالإضافة إلى تحفيظ الطلاب آيات من القرآن الكريم وتعليمهم تلاوتها على

1ــ عبد السلام العجيلي، مجهولة على الطريق، ص٢٤١.

2ــ عبد السلام العجيلي، المغمورون، ص١٨.

3ــ المصدر نفسه، ص١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوجه الصحيح، بما كان يُتعارف عليه باسم الكُتّاب في كل قرية من القرى. وقد ساد هذا الشكل أو هذا اللون من ألوان التعلم حقبة ليست بالقصيرة، وحتى وإن انتهت معالمه في بعض القرى المتمدنة إلا أنه استمر في غيرها حتى العصر الحديث.

ويظهر عمق الوازع الديني عند أهل القرى واضحاً في بعض سرديات العجيلي، فالقروي في القرية يغلق باب دكانه حتى يؤدي صلاة الظهر في المسجد القريب، ثم يعود لفتحه أمام الزبائن، وهذا نابع من الشعور الديني بتقديم الصلاة على العمل الدنيوي: "**انصرف الرجل بعد أن أدى حساب ما اشتراه إلى أبي مروان. وأغلق هذا باب دكانه ليؤدي صلاة الظهر في الجامع القريب، ثم يعود، وفي باله تترد كلمات الرجل الغريب وصور الحكاية التي رواها له**"[١].

ويلاحظ أن القروي لا يربط الزمن بالساعة وإنما يربطه بوقت الصلاة وهذا نابع أيضاً من حسٍّ إيماني مرهف: "**سألني إذا كنا سنبلغ المدينة قبل أن يغلق الخان الذي يودع فيه خرافه أبوابه، وهو يغلقها في العادة بعد صلاة العشاء، فأجبته بأننا بتيسير الله سنبلغها قبل ذلك بكثير**"[٢].

وتظهر في القرى عادةٌ مستمدة من الموروثات الأخلاقية الدينية التي تربى عليها أبناء القرى بارزةً عند كبار السن منهم أكثر من غيرهم؛ وهي عادة التردد على المسجد

1ــ عبد السلام العجيلي، موت الحبيبة، قصة العصافير، ص١٠٦.

2ــ المصدر نفسه، قصة الأجل، ص ١١١-١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للصلاة، وأداء العبادات من تسبيح وقراءة للقرآن الكريم وغيرها، وهذا ما دفع بطل رواية "المغمورون" "عثمان" إلى اختيار منزل قريب من الجامع حتى يدخل السرور إلى قلب والده القروي: "**هذا هو المسكن الذي وضعت عيني عليه كما أخبرتك؛ ليكون مقرّاً لأبويّ. هو مثل غيره في التصميم، ولكنه قريب من الجامع، وهذا يرضي أبي كثيرا**"[١].

❖ **مفاهيم أهل القرية "عادات وتقاليد":**

إن لكل بقعة مكانية على وجه هذه الأرض خصوصية نابعة من طبيعة من يقطنها، فكما أن للقرية طبيعتها الخاصّة كذلك المدينة. وهذا قد يؤدي إلى تشكّل نسيج من العادات والتقاليد والمفاهيم الخاصّة لكل مجتمع. وتشترك البيئة المحيطة، وطبيعة العمل، وطبيعة الحياة، وطبيعة الأفراد في حياكة ذلك النسيج بشكل متكامل يعكس واقعاً معيشاً يحياه كل فردٍ على تلك البقعة المتجسدة في المدينة أو في القرية.

وبتتبع مجموعة من النصوص السّردية التي حاكتها يد العجيلي في قالب عكس واقع الحياة القروية، وبالتركيز على جانب من المفاهيم القروية المتأصلة؛ نرى أن الموروثات والمعتقدات القروية تطالعنا دوماً. فها هي تطالعنا على لسان العم في رسالة بعث بها لابن أخيه في قصة "الحاجز" إذ يقول: "**المشعوذون في قرانا يحرقون شعرات مأخوذة من**

---

١ ــ عبد السلام العجيلي، المغمورون، ص١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأس الضرّة،أو يغرسون دبوساً في صدر صورة مسروقة للغريم، فتؤمن القروية بأن ضرتها سيطلقها زوجهما، ويطمئن البدوي بأن غريمه سيموت في مدة قريبة"[١].

كما أن مفاهيم القرويين تشدد على عدم بكاء الرجال، لأنّ في ذلك انتقاصاً لهم وخفضاً من قيمتهم، ويظهر ذلك في حوار صاحب الدكان مع الرجل الذي أقبل عليه لشراء الجبن في قصة "العصافير": "**عرفت، أنت فقدت نقودك، أما عن الجبن، تستطيع أن تأخذه، وحين تصل إلى أهلك بالسلامة ترسل لي ثمنه. حتى إذا لم ترسل الثمن فأنت مسامح به. لا يليق أن تسيل دمعة رجل مثلك لأجل هذا**"[٢].

ومن عادات القرويين المتأصلة: التمسك بالأرض، فالأرض عندهم كالعِرضْ يجب الدفاع عنها، والمحافظة عليها. ويتبيّن ذلك في كلام والد "عثمان" مع "ندى" في رواية "المغمورون"؛ حيث يقول لها: "**ولكنني هنا أصبحت فلاّحاً، بنيت لي كوخاً، وصارت لي أرض مثل أساس الكوخ ومثل جذر النبتة التي أزرعها، فلماذا يطردونني منها؟**"[٣].

ومن عادات أهل القرى، تلك العادة التي سالت في سبيلها دماءٌ وأُزهقت أرواح؛ إنها عادة التصدي لابنة العم إذا ما تقدّم أحدٌ من الغرباء لخطبتها.

---

1 ــ عبد السلام العجيلي، مجهولة على الطريق، ص٢١٣.

٢ ــ عبد السلام العجيلي، موت الحبيبة، ص١٠١.

٣ ــ عبد السلام العجيلي، المغمورون، ص٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبرز ذلك في مقطع من سرديّة العجيلي التي تحمل عنوان "الخيل والنساء" من المجموعة القصصية التي تحمل العنوان ذاته:

"**إلا أن عثمان حظي بما عجز عنه السادة الأخر. فقد تقدم إلى السّاري يخطب إليه صغرى بناته، نجود، فقبل الأب ومانعت العشيرة، لأن أبناء عمها كانوا يتطاحنون على خطبتها، فلم يكن يرضيهم أن يذهب الغرباء بآخر كرائم الساري كما ذهبوا بأخواتها. فلما أطالوا على الساري الأخذ والرد، وحاولوه بالترغيب وأومؤوا إليه بالترهيب لم يكتف في ثورة عناده بأن زفّ نجود إلى عثمان، بل إنه ساق إليه، هدية زفاف، خير ما في مربطه من أصائل الخيل، فرسه التي اسمها الكحلاء**"[١].

ويظهر في سرديات العجيلي بعض أخلاقيات أهل القرية المبنية على العادات والتقاليد؛ إنها أخلاقيات حسن الترحيب بالضيف واستقباله حتى لو كان ألد الأعداء، وتبين ذلك في قصة "أبي سليمان" مع "عارف" المندرجة في المجموعة القصصية "قناديل اشبيلية":

"**ولابد أن دهشة سعيد كانت عظيمة حين رآه واقفاً عند سياج الدار لابساً عباءته وفروته فوق ثيابه المدنية وبيده مقود حصانه الأشهب وهو يسأل عنيِّ. في الحق لم يملك ولدي سعيد إلا أن يفتح لعارف الباب على مصراعيه. ويدعوه للدخول متجاهلاً، في وقته الحاضر، أن النقمة على عارف كانت حديث المائدة في بيتنا ستة شهور كاملة. أما**

---

١ ــ عبد السلام العجيلي، الخيل والنساء، دار الشرق بيروت، ص٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنا فقد وجدتني ملجم اللسان. ما الذي أستطيعه حيال رجل يطأ أرض داري ولو كان ألد أعدائي؟ رحبت به وسألته عن حاله وأظهرت له عجبي من مجيئه إلينا فارساً..... ولم أجرؤ على سؤاله ماالذي ساقه إلى داري وبيننا الذي بيننا"[١].

وقد تجسد بُعْد امتلاك الأرض وتوارثها بشكل واضح في قصة سالي من المجموعة القصصية السابقة؛ فالأرض من الممتلكات المحفوظة عند القروي، يرثها جيل عن سالفه، وعلى الجيل التالي الحفاظ على كينونتها ووجودها دون اللجوء إلى بيعها تحت أي ظرف من الظروف، وهذه من أخلاقيات القروي التي لايستغني عنها. "**إن رجم جاسم، وهو هضبة وسط بادية. سمي باسم جاسم ثم ملكه والأرض التي حوله جاسم وأبناؤه بعده، لأن جاسما حينما أعرس بأهله، بنى صيوان عرسه على قمة ذلك الرجم. وكذلك أمر الطوالع وبادية الخبرات، ثبت حق الطوالع فيها حين ثبت أن جدهم دفن عصاه التي صرع بها الثعلب في قاع إحدى تلك الخبرات. أما نحن فإننا نزلنا أرض بئر الأكحل وبادية الخان منذ خمسين عامّاً. وإذا كانت عشيرة الصفرات ترد شهودنا فإني أعرف شاهداً لا يرد، شاهداً سجل شهادته في كتاب مخطوط، وأن ذلك الكتاب بصورة شمسية حين كان التصوير الشمسي في أول عهده منذ خمسين عاماً"**[٢].

---

١ ــ عبد السلام العجيلي، قناديل إشبيلية، ص٦٠.

٢ــ المصدر نفسه، ص١٤٤-١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر في المقطع السابق شدة التمسك بالأرض، وبيان هيئة امتلاكها من قبل العشائر والقبائل القروية، ثم انتقالها من الجيل الأول إلى الجيل الذي يليه وهكذا.....

❖ **طبيعة الحياة في القرية:**

إن طبيعة الحياة في القرية تختلف عن حياة أهل المدن سواء أكان ذلك في طريقة العيش، أم في التعامل، أم في السكن أم في الأنظمة السياسية المتبعة، وحتى في علاقة هؤلاء القرويين مع الظواهر الطبيعية من حولهم فإنها تختلف وتتباين عن علاقة المدنيين فيها.

تتضافر مجموعة من العوامل كالبيئة، والتنشئة، وطبيعة التربية، والعادات والتقاليد في بناء بيئة معيشية تطبع القرويين بطابع خاصٍّ بهم يختلف عن غيرهم.

وقد برزت طبيعة أهل القرى في أعمال عبد السلام العجيلي السرديّة التي عبّرت تعبيراً صادقاً عن طبيعة الحياة في القرية، ففي كثير من النصوص نقل القارئ إلى البيئة القروية كي يتعايش معها، ويحس بنبض الحياة فيها، وهذا ما أكسب أعماله نجاحاً وتميزّاً واضحاً.

إن الخوف من العار طبيعة متأصلة عند القروي، وإقبال أحدهم على التخلص من حياته ليس في وجهة نظرهم إلا تخلصّاً من العار: "**فإن البادية لم تكن تعرف الهمّ الذي يغلب الحياة، فيدفع رجلاً أو امرأة، إلى القضاء على نفسه أو على نفسها. ليس هناك في**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البادية ما تنعدم قيمة الحياة أمامه ويحلو عنده الموت غير العار..... فهل اقترفت ذهيبة العار؟"[١].

كما أن طبيعة حياة أهل القرية البسيطة التي تعتمد على وسائط تناسب هيئة الطرق والقدرة الماديّة للقروي تظهر بارزة في رواية المغمورون حين يخرج الفلاحون من بيوتهم لملاقاة سيارة أنيس المقاول: "وتلقتهما عربات تجرها الخيل وزمرمن الناس يسوقون أمامهم بعض الماشية وحميراً محملة بأمتعة المساكن المهجورة"[٢].

وتصل المقاطع السّردية إلى قمة الصدق حين تصف حال هؤلاء القرويين قبل الرحيل استعداداً لمواجهة مشكلة الغمر: "**كانوا يسندون ظهورهم إلى كوم أثاث خليط من فرش وأدوات منزلية مغطى ببسط مهترئة وجلود خراف. حدثت ندى نفسها بأن هذا الأثاث لابد أن يكون قد استنقذ من المنازل المهجورة التي رأتها في إطلالتها على القرية محاطة بالماء من كل جانب** "[٣].

ويبين العجيلي تحمل الفلاحين للظلم، فطبيعتهم التي يستمدونها من ظروفهم المعيشية تجعلهم قادرين على مجابهة أي شيء: "**هم فلاحون، كما قلت أنت مرة، معودون على**

١ــ عبد السلام العجيلي، موت الحبيبة، قصة البراءة، ص٥٩.

٢ــ عبد السلام العجيلي، المغمورون، ص١٧٩.

3ــ المصدر نفسه، ص١٨٤-١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقبل مالا رأي لهم فيه، وعلى تحمل مالا يقدرون على تغييره. مُعَوّدون، في كل الأزمنة وكل الأمكنة، على تحمل الظلم"[1].

هذا ناهيك عن وصف بعض الأمور الملاصقة لحياة القرويين كصحوة الصباح الباكر، وجمع حزمات القش من المراعي المنتشرة هنا وهناك، وظهور طبيعة الحياة السياسية في القرية، فشيخ القرية هو المسؤول عن إدارة شؤون الناس وتدبير أمورهم وختم أوراقهم من الجهات الرسمية في المدينة.

ويصور العجيلي النقيض مسألة الزواج في القرية في رواية "المغمورون" على النحو التالي حيث يُعجب "عثمان" القروي بالفتاة المدنية "ندى" كما أنها هي نفسها تعجب به ويقرران الزواج، ثم يتم إعلام الأهل، أي أن أهل "عثمان" لم يقوموا باختيار الزوجة، وإنما الذي اختارها "عثمان" بنفسه، ولكنّ تفسير ذلك إنما يتبيّن في أن "عثمان" القرويّ أحب فتاة مدنية وجرأة "ندى" هي التي دفعتها للبوح بهذا الحب وهذا الاتفاق على الزواج لأهل "عثمان"، وكيف لأهل "عثمان" أن يرفضوا هذا الزواج المتميز الذي يجعل فتاة بجمال "ندى" وبالدرجة التعليمية التي تفوق تعليم "عثمان" المتواضع تقبل الزواج من ابنهم. وهذا جزء من الحديث الذي يدور بين "ندى" و"عثمان" كما يسرده العجيلي: "**كدتُ أخبرها بخطبتنا وأستريح. ولكنك لم تشجعني قال: أنا؟ أجابت: نعم. كأنك تخاف من أن تصرح لأهلك بما**

---

1 ــ المصدر نفسه، ص٣٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيننا. عندما تعود من المنطقة الشرقية نعلمهما. لاتتصور أني سأحتفظ بالحكاية سرّاً إلى آخر الدهر. فضحك عثمان ضحكة مصطنعة قبل أن يقول: ستطلق أمي زغرودة لم تطلقها منذ أيام عرسها "[1].

وها هي توقعات "عثمان" تتحقق حين تطلق الأم "هدلة" العجوز تلك الزغرودة لتشكل بها ردّة الفعل الايجابية لدى أهل "عثمان" عند سماعهم الخبر من لسان "ندى": " **لم يكن عثمان حاضراً عندما حدث هذا. فقد أطلقت أمه، هدلة العجوز، الزغرودة التي تنبأ بها، وذلك حين أخبرتها ندى بالخطبة وموعد الزواج القريب، في حضور الشيخ جابر. أما جابر نفسه، فإنه فتح فمه دهشة أول الأمر، ثم قال بصوت متهدج: هل هذا صحيح؟ أنا لاأصدق أنت صرت بنتاً لنا. ومرّ بكفيه على عينيه الجافتين، كأنما كان يحول بينهما وبين أن تخضلاّ بالدمع "**[2].

ورغم أن العجيلي قد ركز على القرية، وجسّد الحياة فيها بمختلف أبعادها في النسيج السّردي الذي قدّمه، إلا أن صورة القرية في رواية "باسمة بين الدموع" جاءت غامضة، فرغم تردد "سليمان" عليها أكثر من مرّة إلاَّ أننا لانستطيع تحديد أبعادها بدقة، فلم يصف الأهل، أو العادات والتقاليد، وطبيعة الحياة وغير ذلك[3].

---

1 ــ عبد السلام العجيلي: المغمورون، ص٢٨٦-٢٨٧.

2 ــ المصدر نفسه، ص٢٩٦.

3 ــ انظر: ابراهيم الفيومي، الواقعية في الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ص١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عكس العجيلي في سرديّاته صورة إيجابية لطبيعة الحياة في القرية، غير أنه صوّربشكل واضح معاناة الفلاّح القروي من الظروف المعيشية الصعبة، والنابعة من الأحوال الطبيعية وطبيعة الحياة داخل القرية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: الرواية المدنية :

لقد كان مجتمع المدينة محطّ أنظارالسّرديّين العرب على اختلاف مواقعهم في الوطن العربي الكبير، وقد دخلت المدينة في السرديات التي خصّت الحديث عن الريف أيضاً، ولأنّ الرّوائيّين السّوريّين جزء من سرديي هذا الوطن فقد ساروا على النّهج ذاته، "وليس هناك سبب معروف لهذا الاهتمام الكبير، إلاّ أن تكون المدينة عالماً اجتماعيّاً أكثر تناقضاً من عالم الرّيف، وأكثر قرباً من الروائيّين أنفسهم سواء أكانوا مدنيّين أم ريفيّين ومن الملاحظ أن الروائيّين في سورية اقتربوا من المجتمع المدني من خلال المبدأ العام لاقترابهم من المجتمع السّوري وذلك بالابتعاد عن الحاضر واللجوء إلى الماضي، والسّعي إلى خلق واقع افتراضي، والبعد عن دراسة الواقع الاجتماعي الحقيقي، ومن الملاحظ أنّ المدينة في منظورهم مكان الصّراع والمشكلات، ولهذا السبب راحوا يتحدّثون عن هذين الأمرين دون أن يروا في هذا الواقع أية إيجابية تستحق المعالجة، ودون أن يغوصوا في أعماق الواقع الحقيقي لمعرفة حركته الاجتماعية. ومن ثمّ بدا المجتمع المدني في رواياتهم ذا تعبير سياسيّ صرف . فهو مجتمع طبقي متناحر، مملوء بالاستغلال والملكيّات الخاصة الكبيرة "[1].

1 ــ سمر روحي الفيصل، الاتجاه الواقعي في الرواية السورية، ص١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ **صورة المدينة في سرديّات عبد السّلام العجيلي :**

وقد برزت المدينة في سرديّات العجيلي بشكل واضح حتّى في سرديّاته التي كرّست للحديث عن الحياة الرّيفية كرواية "المغمورون" مثلاً، فظهر لها طابع خاص تجسّد من خلال الأحداث أو من خلال الشّخصيّات التي عكست حياة المدينة في أغلب الروايات والقصص، فأعطت رسماً واقعيّاً عن الحياة السّياسية والحزبيّة والتفاوت الطّبقي بين أفراد المجتمع المدني، وطبيعة تفكير أهل المدن في مسألة الزّواج وغيرها من الموضوعات الاجتماعيّة الملاصقة للمجتمع .

وقد ظهر التّركيز على المدينة في سرديّات العجيلي في المحاور الرئيسية التالية:

أولاً: صورة المرأة:

تعد المرأة عنصراً فعالاً من عناصر المجتمع، هذا العنصر الذي توكل إليه مهمة تنشئة الأفراد في هذا المجتمع؛ لذلك كان "من البديهي أن يضم مجتمع الروايات المدنيّة صوراً عديدة للمرأة، ولكنها صور تختلف اختلافاً واضحاً عن صور المرأة في الروايات الريفيّة. ففي تلك الروايات يجري تأكيد دائم على كونها عنصراً إنتاجيّاً في المجتمع الرّيفي، وهي مذمومة إن لم تكن كذلك، أو كان همّها مقصوراً على الشّكليّات. بل تذهب الروايات إلى جعل مقدرتها على العمل عنصراً هامّاً من عناصر انتقائها زوجة للرجل، ومن هنا يلحظ المرء أن سيطرة الرجل عليها سيطرة شكلية كامنة في الأوامر والوجاهة أمام الآخرين أما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختلاف صورة المرأة في الروايات المدنية عنها في الرّوايات الرّيفيّة فعائد فقط إلى اختلاف البيئة، مما يستتبع اختلافاً في طبيعة المشكلات، وتغييراً في الإطار الاجتماعي العام لها"[1].

لقد عرض العجيلي في سرديّاته صورة واضحة عن المرأة المدنيّة، نستطيع تلمّس ملامح هذه الصّورة بالقراءة المتفحصّة لهذه السّرديّات، وبالملاحظة الدقيقة لبعض الأحداث أو حتّى بالوصف الخارجي الذي يستخدمه العجيلي للتعبير الصّادق عن أبعاد الشّخصيّات وأفكارها وتفاعلها في المجتمع لإدارة عجلة الحياة. ويظهر ذلك في رواية "المغمورون" حين يصف تلك الفتاة المدنيّة التي تشارك "عثمان" في دور البطولة في رواية المغمورون: "**إنّها فتاة متحررّة حقاً، ولكنّها مع تحررّها فتاة جادّة لم يلحق بسمعتها شيء من اللّغو الذي يدور بين الحين والحين حول تصرفات بعض من يقمن مثلها في جناح العازبات في أبنية سكن المؤسسة** "[2].

فإن "ندى" تظهر في الرّواية فتاة متحررّة تخرج مع "عثمان" على مرأى من النّاس، وتتجوّل معه في السّيارة داخل القرية وعلى مشارفها، وتبيت خارج المنزل في سكن العازبات على مشارف القرية. وتختار "عثمان" القروي شريكاً لحياتها عارضة عليه الزّواج منها بعدما تأخر هو عن ذلك؛ لأنّه أحسّ بالبعد الطبقي الاجتماعي بينه وبينها

---

1 ــ سمر روحي الفيصل، ملامح في الرواية السورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٩م، ص٢٤٦-٢٤٧

2 ــ عبد السلام العجيلي، المغمورون، ص٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكيف يتسنّى له التّقدم لخطبتها وهو ذلك الفلاّح الذي لم يصل إلى المستوى العلمي الذي وصلت له هي. " **فهذه الفتاة، على كل صفاتها السّمحة، تظلّ من طينة أخرى غير طينته من طبقة أخرى. إنّها بدون شك، جديرة، لو أنّه في أقواله وتصرّفاته تجاوز الحد، أن تلقي عليه نظرة فوقية وتلملم أطراف ثيابها متباعدة عنه. لا لن يتيح لها في لحظة من اللحظات أن تلقي عليه تلك النّظرة المستعلية. ولن يتجاوز أن يكون مرافقاً لها، أو رفيقاً لها في ساعات الدّوام التي لن يبلغ بها أبداً بعد مغيب الشّمس** "[١]

ويلاحظ في المقطع السابق من الرواية إعراض "عثمان" عن التّجرّؤ على "ندى" وزيادة الحدّ في التعامل عن المعقول، لأنّه أحسّ بالفجوة بينه وبينها فحاول جاهداً أن لا يجعل من تصرّفاته سبباً في تنفيرها منه. ولكن "ندى" بجرأتها النابعة من طبيعتها والبيئة المدنيّة التي تربّت فيها تعلن نبأ الخطوبة بنفسها لأهل "عثمان" بعد أن كانت قد اتفقت مع "عثمان" على ذلك؛ أي الخطوبة، دون الاتفاق على إعلان النّبأ للأهل[٢] رغم أنّها لم تخبر أهلها بمسألة اتفاقها مع "عثمان" على الزّواج. وهذا أيضاً مظهر اجتماعي لم يكن ليظهر في القرية عند الفلاحين فكيف لـــ"ندى" أن تعلن نبأ خطوبتها من "عثمان" دون معرفة أهلها؟ إنّها حياة التحرر والاستقلالية بالرّأي التي منحتها إيّاها البيئة المدنية التي رضعت من لبانها وترعرعت بين أكنافها.

١ــ المصدر نفسه، ص٣٢-٣٣.

2ــ انظر: المصدر نفسه، ص٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر في الرواية ذاتها التفاوت الثقافي واضحاً بين "ندى" و"عثمان"، وتظهر ثقافة فتاة المدينة في أكثر من موضع من الرواية؛ فها هي على سبيل المثال تنطق بكلمة هيهات أن تنطق بها ابنة القرية، هذه الكلمة التي تنم عن ثقافة معرفية ذات اطلاع على الكتب والمعارف هذه الكلمة في قولها لـــ "عثمان": "**إنك تحب تعذيب نفسك. المازوشيون هم الذين يزدادون تلذذاً كلما ازدادوا تألماً، فردد عثمان الكلمة كأنه يريد أن يحفظها وقال مازوشي..... استفدت من رحلتنا اليوم كلمة ترفعني إلى مستوى الناس المتمدنين، أمثال صاحبتك المدللة، العزيزة على قلبك**"[1].

وقد واكبت المرأة المدنية أسمى أسباب التقدّم الحضاري حين ركبت السيّارة وقادتها، وهذه صورة لم نجدها عند الفتاة القرويّة بتاتاً: "**اللاندروفر في الأصل موضوعة في عهدة عثمان، وهو مسؤول عنها. إلا أن ندى كانت تغتنم كل فرصة لتتولّى قيادتها، فاكتسبت بذلك خبرة لم تنلها من تدرّبها في مكتب قيادة السّيّارات في بيروت، حيث نالت شهادة السّوق** "[2].

وها هي تتميز بلباسها عن ابنة القرية التي التزمت لباسها الطويل أو ثوبها القصير الذي يستر تحته بنطالاً تواري به ساقيها عن الأنظار. فـــ"ندى" هذه الفتاة المدنية ترتدي بنطالاً يلف جسدها، ناهيك عن كشف شعر رأسها وارتداء القميص المناسب للبنطال:

---

1 ــ عبد السلام العجيلي، المغمورون، ص٢٧٠.

2 ــ المصدر نفسه، ص٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"كانت ندى ترتدي هذا الصباح قميصاً أزرق منقطاً، وبنطلوناً سماويّاً يلف جسدها دون الخصر إلى الركبتين، ويتسع دونهما فيبدو فضفاضاً، وكان شعرها المائل إلى الشقرة مشدوداً بشريطة بنفسجية"[1]. أما لباس صديقتها "حورية" فكان مكوناً من تنورة كحلية، وقميص ذي لون زهري[2] بتناسق ألوان تفتقد إليه بنت القرية التي كان محط اهتمامها العمل في الحقل، والبستان، وخدمة الأسرة، ورعايتها، وتقديم الخدمات للزوج دون الالتفات إلى اللباس وتناسقه والاهتمام به؛ لأن مشاغل الحياة حالت دون ذلك.

وبتسليط بصيص من الضوء على رواية "باسمة بين الدموع"، وجدنا صورة واضحة للمرأة المدنية؛ استطاع العجيلي أن يرسمها ببراعة تامّة، متجسدة في شخص "باسمة" بطلة هذه الرواية المثقفة التي تحمل في جعبتها الكثير من الآراء السياسية والاجتماعية والفكرية. وقد عبّرت "باسمة" عن نفسها بضمير الغائب في الرواية عندما بعثت برسالة إلى "سليمان" تقص عليه قصتها، فتعكس في هذه الرسالة طبيعة الفتاة المدنية التي عايشت العلم والفكر والأدب: **"كل من حولها يعرف كيف تعيش، ويثق بها وبمثاليتها التي تنيرها بالشعلة القوميّة التي ورثتها من بيئتها، وغذّتها من واقعها ومجتمعها وعواطفها. كلهم يؤمنون بأنّها خلقت لعمل عظيم ورسالة كريمة تنتظرها"**[3].

---

1 ــ المصدر نفسه، ص٢٢٥.

2 ــ انظر: المصدر نفسه، ص٢٢٧.

3 ــ عبد السلام العجيلي، باسمة بين الدموع ، ص١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولطالما طال النّقاش بينها وبين "سليمان" حول قضايا سياسيّة وفكريّة تنم عن شخصية فتاة واعية ناضجة لها فكرها الخاص بها الذي استقته كما قالت من البيئة، ومن الواقع الذي تعيش فيه؛ إنّها تقصد المدينة، وليس أي مكان آخر غيرها.

ويعود تحرر المرأة المدنية يطالعنا من جديد في رواية "باسمة بين الدموع" حين تخرج "باسمة" مع "سليمان" وهو الرجل الغريب عنها في سيّارته الخاصّة في نزهة؛ ويدور بينهما حوار حول بعض الآراء والتّوجهات السياسية في البلد، فيكون رأي "سليمان" على النحو التالي: "**منذ أن تعدّت السيارة في اليوم التالي منعطفات الطريق في دمّر تاركة وراءها خضرة الغوطة ووادي بردى إلى الطريق اللاحبة التي تقود من دمشق إلى شتورا، استأثر سليمان وحده بالحديث وترك الإصغاء من نصيب باسمة ... قال سليمان: لم يستطع واحد من كل الذين كانوا ضد فكرتي في لجنتي الحزب أن يجد ثغرة في حججي وآرائي أو في استشهداتي بدستور الحزب وسوابقه. ولكنّهم يريدون الاشتراك بالحكم بأي ثّمن، يريدون الاشتراك بالحكم بعضهم للمنفعة الشّخصية، وكثير منهم لأنّ نظرتهم في السياسة لا تمتدّ إلى أبعد من نظرتهم إلى أعمق من مدى تفكيرهم السطحي**"[1].

وتظهر المرأة المدنية بثقافتها ونضج تفكيرها وسعة اطلاعها وعلمها متجسدة في شخصية ليلى في قصة "الحاج" من المجموعة القصصية "مجهولة على الطريق": "**فعدا عن**

---

1 ــ المصدر نفسه، ص٨٣-٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سعة اطلاعها ونضج تفكيرها، أتاح التشاور المستمر للمعيد رئيس الرحلة مع أركان حربه، أتاح للدكتور أكرم أن يتعرف من لباقتها في التصرف وقدرة على التنظيم، على ما جعله يتخذها مستشاره وساعده الأيمن في توزيع المهام والتعليمات على زملائها الطلاب"[1].

أما جرأة فتاة المدينة فهي بارزة في قصة "مجهولة على الطريق" من المجموعة القصصية التي تحمل العنوان ذاته، هذه المرأة المجهولة التي أخذت تتحادث مع المهندس جميل عبر سماعه الهاتف؛ لأنه لم يتوقف بسيارته حين أشارت له على الطريق العام ظانّاً إياها إحدى المتسولات، ولكنها أصرّت على ازعاجه بالاتصال به باستمرار بعد عودته من العمل ومعاتبته دون سابق معرفة بينها وبينه، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على جرأتها وصلابة موقفها، هذه الجرأة التي لا تكاد بنت القرية تبدي ولو جزءاً يسيراً منها في التعامل مع زوجها فكيف مع الغرباء؟!

"**مساء الخير يامدام. ماذا تريدين مني؟ أتريدين اعتذاري عن عدم توقفي لك البارحة؟ إذا كان هذا يرضيك، فتفضلي وتقبلي صادق الاعتذار. أجابته قائلة: يبدو أني أزعجتك ياعزيزي. تذكّر أيضاً أنك أزعجتني حين تركتني وحيدة على الطريق إلى أن غابت الشمس. هل يرضيك أن تضطر من هي مثلي إلى قبول الركوب، بعد حلول الظلام،**

1ــ عبد السلام العجيلي، مجهولة على الطريق، ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في سيارة صهريج للمحروقات.... هل يرضيك هذا !؟ لم يملك المهندس جميل شفتيه عن أن ينفرجا بابتسامة خفيفة قبل أن يجيبها بقوله: " أعتذر يا سيّدتي. أطلب عفوك. إن لي دوافعي الخاصّة في عدم الاستجابة لمن يستوقفني على طريقي بين المصنع والمدينة. لو عرفتك شخصيّاً لتوقفت لك رغم تلك الدّوافع"[1].

ثانياً: وقائع اجتماعيّة في المدينة.

أ. الأسرة في المدينة:

كثيراً ما نتكلّم نحن الشّرقيين عن العلاقة الأسريّة الفريدة التي نمتاز بها عن غيرنا من المجتمعات، هذه العلاقة القائمة على الاحترام المتبادل إضافة إلى المعاني الكثيرة، كالرحمة، والعطف، والرّعاية، وتقديم العون، والنّصح والإرشاد. ولأنّ مجتمع المدينة الشّرقيّة مجتمع متحضّر، فقد حاول استقاء عادات وتقاليد غربية بدعوى مواكبة تطوّر العصر وتقدّمه، فأصبح ينهل من الثّقافات الأجنبيّة، مما أدّى به إلى الانحراف عن السّير العام في كثير من الأحيان مع الحفاظ على الشّيء اليسير من الخصوصيّة التي لا يمكن تغييرها بشكل جذري. وانعكس ذلك على ابن المدينة فها هو قد أصبح شاباً يافعاً، وها هي قد غدت فتاة شابّة يمكنها الاعتماد على نفسها، والخروج عن نطاق الأسرة، وإصدار

1ــ عبد السلام العجيلي، مجهولة على الطريق، ص٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرارات تتعلّق بمستقبلها فتبحث عن الزّوج المناسب، وتنتقيه وفق طموحاتها دون علم الأهل بذلك، وما عليهم إلا أن يكونوا حاضرين ليقرّوا عقد الزّواج ويباركوه.

وقد ظهر ذلك جلياً في رواية "المغمورون"؛ فقد اختارت "ندى" لنفسها زوجاً هو "عثمان" ابن القرية الذي أحرقته شمسها المحرقة ، بعيداً عن أنظار الأم والأب ، فتقرر الزواج من هذا الشاب دون علم والديها بالأمر، ولأنها تحس بأنها الوحيدة التي يحق لها أن تتخذ مثل هذا القرار؛ فهو شأن يعنيها وحدها، وهي قادرة على اتخاذ قرارها؛ لأنها الشابة المتعلمة الواعية، وعندما يسألها "عثمان" عن موقف والديها يكون جوابها: "**أبي يعرفني جيداً. يدهش أولاً ، ويضرب كفاً بكف، وربما هددني بأن يحرمني من أرثه أو بأن يتبرأ مني .ولكنه في النهاية سيضحك، وقد يأتي إلينا زائراً يحمل معه هدية مناسبة لك. أما أمي فإن حالتها ستكون أصعب. لن تطلق أبداً زغرودة كالتي أطلقتها عمتي هدلة.....**"[1].

ويظهر في المقطع السابق من الرواية أيضاً السلطة المحدودة للأب والأم تجاه الأبناء في المدينة؛ هذه السلطة التي تفتر شيئاً فشيئاً كلما اتجهنا من مجتمع الريف إلى مجتمع المدينة بشكل أفقي، فإن موقف الوالد في القرية صلب وصارم، ولا يجرؤ الشاب على مجابهته، أو حتى التلميح بأي موضوع كان في حضرته، وإذا تجرأ بذلك فإن الأب سيلوح

---

1 ــ عبد السلام العجيلي، المغمورون، ص٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالعصا الحديدية عندها وقد لا يكتفي بالتلويح. وأما الوالد المدني فإنه يهدد على حد قول "ندى" ويدهش ويضرب كفاً بكف، وفي النهاية يلين ويخضع للأمر الواقع دون أن يكون حازماً صارماً في موقفه. وكذلك بالنسبة إلى الأم التي ليس لها إلا الحزن والبكاء، ولكنها بمرور الأيام تنقاد للأمر الواقع فتتجاوز مرحلة الغضب والحزن إلى الاستسلام والرضا بما حدث.

ب. القرية والفلاح في نظر أهل المدن:

إن التمايز المعيشي والفوارق الفكرية والثقافية، هذا بالإضافة إلى الاختلاف في بعض العادات والتقاليد، كل هذه عوامل اجتمعت حتى تفرق بين المدني وبين القروي في طراز المعيشة وكيفيتها، فأدى ذلك إلى أن ينظر كل منهما للآخر نظرة تنطلق من الواقع الخاص لكل منهما على حد سواء. ولماكانت الخطابات السردية في مجملها معبرة عن النمط الاجتماعي السائد عند الأفراد والجماعات، ومقتربة من الواقع المعيش لتجسد أبعاد هذا الواقع، فقد صورت علاقة الريفي بالمدني، ونظرة أهل المدن إلى أهل القرى، وقد ظهر هذا واضحاً جلياً في الكتابات السردية عند العجيلي.

فصورة الشاب القروي تختلف عن صورة الشاب المدني عند بنت المدينة، ويظهر ذلك من خلال كلام فريال عندما حضرت عرس أهل القرية "**الصحيح أن الدبكة أعجبتني**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثيراً أما الدابكون فلا...."[1].

وتتجسد هذه النظرة ذاتها فيما يحس به أهل القرى أنفسهم تجاه أهل المدن وانطباعاتهم عنهم حين ردّ "عثمان" على المهندس قائلاً: "**ياحضرة المهندس، كل شيء له حدود..... حتى الجرأة والتحرر الذي تسميه سعة التفكير.... الحدود بيني وبين جيراني في قريتي لاتزال قائمة، حدود الجاه والقيمة الاجتماعية وتفاوت الثروة..... فكيف بين آنسة مثل الست ندى وفلاح يلبس دشداشة، ويضع على رأسه كوفية وعقالاً! الآنسة تبذل كل طاقتها في خدمة الفلاحين، هذا شيء....أما أن تتزوج فلاحاً فهذا شيء آخر**"[2].

كما أن القرية، وهي المكان الذي يعيش فيه الريفي، موضع انتقاد عند أهل المدينة، فها هو أنيس يجيب "ندى" قائلاً: "**نعم، إني أخاف على حورية أن تستطيب العيش في هذا البلد الخشن وتهجرنا**"[3]، فالقرية مكان خشن لايمكن لبنت المدينة العيش فيه والتأقلم معه كما يرى أنيس، هذا المهندس الذي ينظر إلى إقامة مشاريع تطوير وتحسين في القرية، لا لأجل رفع المستوى الخدمي في القرية بل لجني أرباح مادية تعود عليه بالشيء الكثير: "**هنا قطعة من الطريق طولها ثلاثون كيلو متراً لم يجرِ تعبيدها بعد. سأقترح على حورية عندما تصل أن تؤلفا، أنت وهي، شركة تعهدات أكون أنا مستشارها المالي، تقوم بتعبيد**

---

1 ــ المصدر نفسه، ص٦١.

2 ــ المصدر نفسه، ص٦٥.

3 ــ المصدر نفسه، ص١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه القطعة من الطريق. بقرة لايزال حليبها مكتنزاً في ضرعها، تحلبانها أنت وحورية....ضحكت ندى وقالت: أنت لاترى في الحياة غير البقر الحلوب. لم يبق إلا أن أستقيل أنا من عملي وأن تستقر حورية هنا، لنعمل معاً في شركة تديرها بخبرتك العظيمة في شؤون المال"[1].

وتتجسد نظرة الشعور بالفوقية، والتعالي والاستهزاء من قبل ابن المدينة لابن القرية واضحاً على لسان أنيس في حواره مع "ندى": "**قال أنيس: من هو أقدر منها! من تقصدين؟ لعلك تعنين هذا الشاب، سائق اللاند روفر، الذي يتكلم وكأنه يحمل هم هذه المنطقة على كتفيه أقول لك الحقيقة.... لا أدري هل يعجبُ الإنسان به، أم يضحك منه إذ يراه مغروراً يضع نفسه فوق مايستحق بكثير. من ناحيتي وجدت أنك أنت تضعينه فوق مقامه**"[2]. وها هي النظرة ذاتها تتكرر عند أخته "حورية" "**كانت تلك كلمات لاذعة، أوأنها قليلة اللباقة، لعل حورية تعمدت النطق بها مذكرة صديقتها، أو مذكرة الفتى نفسه، بالبعد بين مستواها ومستواه. ولم يرد عثمان أو أنه رد رداً خشنا حين رجع بسيارته إلى الوراء بحركة مفاجئة ثم أدارها بسرعة منطلقاً في طريق العودة دون أن يتمنى لضيفته ليلة سعيدة**"[3].

---

1 ــ المصدر نفسه، ص١٧٣-١٧٤.

2 ــ المصدر نفسه، ص٢٢٢.

3 ــ المصدر نفسه، ص٢٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي مقطع آخر من الرواية يظهر هذا الشعور أيضاً على لسان "حورية" نفسها:"**ندى.... ماالذي بينك وبين هذا الفلاح؟، ولفظت كلمة "فلاح بلهجة استهانة أثارت ندى وجعلتها ترد بكلمة واحدة**"[١] وأيضاً قولها لـــ"ندى": "**وهل تظنين أني جئت لآكل دجاجة من طبخ أم صاحبك سائق اللاند روفر؟**"[٢].

وهاهي تستهزئ من مسألة زواج "ندى" من "عثمان" القروي وانتقاء المنزل الذي اتفقا عليه "**وانتقيتما لكما مسكناً تلك الدار الجرباء، بجدرانها الصفراء صفرة الموت.... أليس كذلك؟**"[٣].

و"حورية" نفسها هي التي قيّمت "عثمان" على أنه سائق، هناك تفاوت طبقي اجتماعي حضاري بينه وبينها، وبينه وبين صاحبتها "ندى"، ويظهر ذلك عندما سكتت "ندى" عن كلام "حورية" عندما وصفت "عثمان": "**بل سكتت كأنها توافقها على تقييمها، فتاتان برجوازيتان تحملان شهاداتهما العلمية العالية وتنتميان إلى المدن الكبيرة المتحضرة!**"[٤].

إن المقاطع السردية السابقة تشكل نموذجاً دالاً دلالة واضحة على أن العجيلي عكس نظرة أهل المدينة للقرية وأهلها.

---

1 ــ المصدر نفسه، ص٢٥٦.

2 ــ المصدر نفسه، ص٢٦١.

3 ــ المصدر نفسه، ص٢٦٢.

4 ــ المصدر نفسه، ٢٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit